الحق واليقين
في
عداوة الطغاة والمرتدين

من كلام أئمة الدعوة النجدية
رحمهم الله تعالى

جمع وترتيب وتعليق

أبو عبد الرحمن الأثري

1422هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وجعله هادياً ونــذيراً ، ومرشداً لمن تمسكٍ بـه واعتمـد عليـه في موالاتـه ومعاداتـه ، فهو له سراجاَ منيراً ، وأوجب فيه مقاطعة أهل الشــرك ، ومن كان لهم مؤيداً ونصيراً .

والصلاة والسلم على أشـرف خلقـه ، وخـيرة رسـله محمـد صلى الله عليـه وسـلم الـذي مـزق اللـه بمبعثـه ظلام الكفـر ، وجعل من هديه مباينة الشرك والمشركين جملةً وتفصيلاً.

وعلى آله وأصحابه الذين تحابوا في الله حباً أرغموا به أنــوف الأعداء وجاهدوا به الكفار والمنافقين جهاداً كبيراً ، وتميزوا بــه عن أهل الضلال ، فلم يرضوا منهم بأنصاف الحلول سبيلاً.

أما بعد :

فإن اصل دين الله هو التوحيد ، قال تعـالى : { **ولقد بعثنـا في كُــلِ أُمــةٍ رســولاً أن اعبــدوا اللــه واجتنبــوا الطاغوت** } [النحل / 36] .

وقد فهم عُتاة الكافرين حقيقة دعوة الأنبياء والرُسل أكثر من المسلمين المزعومين اليوم ، فها هم مشـركوا قُـريش يُبـدون عجبهم من هذه الحقيقة { **أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيءٌ عُجاب** } [ص / 5] ، فالكفار فهمـوا أن دعـوة رسـولهم الجليلة ، ليست إلى عبـادةٍ للـه ، ولكن إلى عبـادة اللـه وحـده والكفر بكل معبود سواه .

فعبادة الله وحده لا تتحقـق إلاَّ بالاجتنـاب والكفـر بمن تعـدى على ربوبية أو إلهية من لِه الخلق والأمر .

والإنسان لا يصير مؤمناً بالله إلاَّ بالكفر بالطواغيت ومعاداتهم ، ومعاداة كل الصفات الطاغوتيه وأهلها ومن يُروج لها من أهل الردّة والنفاق .

وتأمل حال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم لمـا قـام يُنـذر المشــركين عن الشــرك ويــأمرهم بضــده وهــو التوحيــد ، لم يكرهوا واستحسـنوا ، وحـدثوا أنفسـهم بالـدخول فيـه ، إلى أن

صرح بسب دينهم وتجهيل علمائهم ، فحينئذٍ شمروا لـهُ ولأصحابه عن ساق العداوة ، وقالوا : سفه أحلامنا ، وعاب ديننا ، وشتم آلهتنا .

وقد أجمع العلماء من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وجميع المسلمين سلفاً وخلفاً ، أن المرء لا يكون مسلماً إلاَّ بالتجرد من الشرك الأكبر والبراءة منه وممن فعله ، وبُغضهم ومعاداتهم ، بحسب الطاقة والقدرة والإمكان .

أما في هذا الزمان فقد تغلغل الفكر الإرجائي في الأمة ، حتى غدا الإيمان قولاً والتوحيد شعاراً ، والإسلام إرثاً وانساباً ، واندثرت معالم الولاء والبراء ، وصادف هذا الفكر قلوباً خاوية ، فاستحكم من القلوب والعقول وفي حياة البشر .

فترك الناس الفرائض والواجبات والسُنن ، واكتفوا بقول : لا إله إلاَّ الله ، وظنوا أن دينهم محفوظ ، وإسلامهم مصون ، وإيمانهم لا غُبار عليه . فهم يؤمنون برب واحد للكون ، لا يعتقدون بالتثليث ، ويعرفون أن الله ربهم وخالقهم ورازقهم ، ويؤمنون ـ على حدِّ زعمهم ـ باليوم الآخر والحساب والعقاب والجنَّة والنار ، وقد يؤدي بعضهم صلاة الجمعة والعيدين ، وقد يصوم البعض الآخر شهر رمضان أو بعض أيامٍ منه ، وقد يعتمر البعض الآخر ويحج بيت الله الحرام ، ويظنون أنهم على خير وعلى جادّة الطريق . والكثير ممن ينتسب إلى هذا الدين يعتقد النفع والضر بيد بعض الأولياء والصالحين ، فيتوسل بهم ، ويستغيث ، وينذر لهم ، ويحلف باسم الواحد منهم ، ويظنون انهم على خير ما داموا يقولون لا إله إلاَّ الله .

وقد سرت أحاديث : ((من قال لا إله إلاَّ الله دخل الجنَّة)) و ((اخرجوا من النار من قال لا إله إلاَّ الله)) وما شابه ذلك ، حتى سرت هذه الأحاديث في العامة سريان النار في الهشيم ، فأتت على الأخضر واليابس ، وظن أكثر المنتسبين إلى الملة أن النطق بالشهادتين يكفي في إثبات صفة الإسلام ودخول الجنان وإن تركوا الصلوات وفعلوا المنكرات : كالاستهزاء بالله ورسوله وآياته ، وأشركوا بالله ما لم يُنزل به سلطاناً ، ووالوا أعداء الله من اليهود والنصارى والملحدين ، وحكَّموا في

الناس الشرائع الكفرية والقوانين الوضعية الجاهلية ، وامتنعــوا عن بعض شرائع الإسلام الظاهرة وحاربوهـا ، مثـل الجهـاد في سـبيل اللــه ، كمـا هــو حاصــل في بلاد المســلمين اليــوم ، ولا يخفى ذلـك إلاَّ على جاهـل أو مُعانـد خـبيث يُجـادل عن هـؤلاء الطواغيت ، نشأ على ذلك الصغير ، وهرم عليـه الكبـير ، حـتى صار في عُرف العامـة ومعتقـدهم وعنـد بعض الـدُعاة وعلمـاء السلاطين أن هذا هو الوضـع السـليم ، ومنهم من ينتسـب إلى أئمة الدعوة المباركة ، ولو نظر أئمة الدعوة إلى حالهم لتــبرؤا منهم ، لذا نقلت كلام أئمـة الـدعوة في هـذه الرسـالة حـتى لا يلتبس الحق بالباطل ، وأوضحت كلامهم في المسـائل المهمـة في التوحيد ، والفرق بين أئمة الـدعوة وهـؤلاء القـوم أن أئمـة الـــدعوة عـــاملين بعلمهم ويُطبقـــون على واقعهم الأحكـــام الشرعية لا تأخذهم في الله لومة لائم ، خلافاً لهؤلاء القــوم فلا تطبيق على واقعهم البته ، والذي يُنكر منهم لا يُنكر حتى يُسأل ، خلافاً لأئمة السلف رحمهم الله تعالى .

اللهم إنا نشكوا إليـك ظلم الطـواغيت ، وزندقـة المنـافقين ، وكل لسان مسموم ، وقلم مأجور ، ونشكوا إليـك كُـل محـرف ومُبدل ، وكُل ساكت عن الحق ، أو مُتكلم بالباطل .

وأسأل الله عزَّ وجلَّ أن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأعمال ، فــإن كــان في هــذه الرســالة من خطــأ فمن نفســي ومن الشيطان والله ورسوله منهُ بريئـان ، وصـلى اللـه وسـلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ، والحمد لله ربّ العالمين .

أبو عبد الرحمن الأثري

25 / 4 / 1422 هـ

الباب الأول : في وجوب إتباع الكتاب والسُنّة[1]

إن الــواجب على جميــع العبــاد امتثــال أمــر رب الأرض والسماوات ، وأمر المبعوث رحمـة للعبـاد ، وطـرح كـل قـول يخالف الكتاب والسنة دون شـقاق أو عنـاد ، فـإن ذلـك تمـام الانقياد الذي هو شرط من شروط لا إله إلا الله .

فلا توحيد إلا بطاعة الله ورسوله ، ولا فوز ولا فلاح إلا بتقديم الكتاب والسنة على آراء الرجال ، التي هي محط أنظـار قابلـه للردَّ والقبـول ، ومـا من أحـد إلا ويؤخـذ من قولـهِ ويُـرد سـوى المبعـوث بالفرقـان ، ومـا من إمـام من الأئمـةِ إلاَّ ولـهُ أقـوال مرغوب عنها عنـد أولي النُّهى والأَبصـار ، فالسـعيد من تمسَّـك بـالوحيين وإن جفـاه الطغـام . والشـقي من نبـذهما من أجـلِ التمسُّك بآراء الرِّجال .

ـ **قال** سـهل بن عبـد اللـه : (عليكم بـالأثر والسُّـنَّة ، فـإني أخاف أنهُ سيأتي عن قليلٍ زمان إذا ذكـر إنسـان النـبي صـلى اللهُ عليهِ وسلم ، والاقتداء بهِ في جميع أحوالِـهِ ذمّـوه ونفـروا عنه وتبرؤوا منه ، وأذلُّوه وأهانوه) .

ـ **قـال** العلاَّمـة سـليمان بن عبـد اللـه بن محمـد بن عبـد الوهاب رحمهم الله : (رَحِمَ اللـهُ سـهلاً مـا أصـدق فِراسـتهُ ، فلقد كان ذلك وأعظم ، وهو أن يُكفَّر الإنسان بتجريـد التَّوحِـد والمتابعة ، والأمر بإخلاص العبادة لله ، وترك عبادة مـا سِـواه والأمرُ بِطاعة رسول الله صـلى اللـه عليـهِ وسـلم ، وتحكيمـه في الدَّقيق والجليل)[2] .

وقد أمرنا الله جلَّ وعلا بطاعة رسوله في نحو ثلاثــة وثلاثين موضِعاً من كتابه[3] فلا يحل مخالفتها إذ إنـهُ عين الضـلال وعين المحادَّة لله ورسوله صلى الله عليهِ وسلم .

وقد أقسـم اللـه بنفسـه في سـورة النسـاء أَنهم لا يؤمنـون حتَّى يُحكِموا النَّبيَّ الأُمِّيَّ في الصغيرِ والكبـير في جميـع الأمـور ، فقـال تعـالى : { **فلا وربِـك لا يؤمِنون حتى يُحكِمُوك فيما شـجر بينهُم ثم لا يجِـدوا**

[1] مُعظم هذا الفصل مُقتبس من كتاب (تنبيه الأمة على وجوب الأخذ بالكتاب والسنة) للشيخ سليمان العلوان .
[2] تيسير العزيز الحميد ص 61 .
[3] قال الإمام أحمد : (نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول في ثلاثة وثلاثين موضعاً) .

في أَنفُسِهُم حرجاً مما قضيت ويُسلِموا تسليما } [النساء : 65] .
والله تبارك وتعالى لم يُوجب على أَيِّ فردٍ من الناس طاعة شخص بِعينه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : { **وأطيعوا اللهَ والرسول لعلَّكم تُرحمون** } [أل عمران : 132] . فهذه الآية يأمر الله تعالى بها عباده أن يطيعوه ويطيعوا رسوله صلى الله عليه وسلم والأمر يقتضي الوجوب على الصحيح إلا لصارف ولا صارف له هنا . بل الآيات كثيرة تؤكد هذا الوجوب ، ثم إنهُ من المعلوم إذا ثبت أَن الأمر يدل على الوجوب أَن مخالفه آثم وعاصٍ لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، لأَن مخالفة الأمر معصية . قال تعالى : { **فليحذر الذين يُخالِفون عن أمره أن تُصِيبهُم فتنه أو يُصيبهُم عذابٌ أليم** } [النور : 63] .فرتب الله على مخالفة الأمر الفتنه أو العذاب الأليم .
ـ قال الإمام أحمد رحمه الله : (أَتدري ما الفتنه ؟ الفتنه الشرك لعله إذا ردَّ بعض قوله أَن يقع في قلبهِ شي من الزيغ فيهلك) .
قال تعالى : { **قل أَطيعوا الله وأَطيعوا الرسول فإن تولوا فإِنَّما عليه ما حُمل وعليكُم ما حُمِّلتُم وإن تُطيعوه تهتدوا وما على الرسولِ إلا البلاغُ المُبين** } [النور : 54] . فهذه الآية فيها الأمر من الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم إن الله تعالى قال : { **وإن تُطيعوه تهتدوا** } فلا يحصل الاهتداء إلا بطاعته لأَن الآية فيها فعل الشرط وجوابه ولا يحصل جواب الشرط إلا بفعله فإن تخلف فعل الشرط تخلف جوابه . فعلى هذا لا يحصل اهتِداء إلا بطاعته فإن وِجِدت الطاعة حصل الاهتداء وإلا فلا . ولذلك رتب الله على طاعته وطاعة رسوله الفوز والفلاح في سورة الأحزاب فقال تعالى : { **ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما** } [الأحزاب : 71]. وقال تعالى ، حاكماً بالضلال المبين على من عصاه وعصى رسوله : { **ومن يعص الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً مبينا** } [الأحزاب : 36] .

وقال تعالى ، آمراً لنا بأخـذِ أَقـوال الرسـول صـلى اللـه عليـه وسلم وتلقيها بالقبول دون توقـف: { **وما آتـاكم الرسـول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** } [الحشر : 7] .

وأمـا الأحـاديث الدالـة على وجـوب طاعـة الرسـول والأخـذ بسنته صلى الله عليه وسلم فهي كثيرة جـداً . منهـا : مـا ثبت في البخاري ومسلم من حديث أنس أن النبي صلى الله عليـه وسلم قـال : ((من رغب عن سـنتي فليس مـني)) وأيضـاً مـا ثبت عند البخاري من حديث أبي هريـرة أن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال : ((كـل أُمـتي يـدخلون الجنـة إلا من أبى ، فقالوا يا رسول الله من يأبى ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)) .

* * * * *

فصل : في إنكار السلف لمن خالف الأحاديث بالآراء

كـان السـلف رضـوان اللـه عليهم يشـتد نكـيرهم على من خالف الأحاديث بالآراءِ والتعسُّـفات المريضـة ، وربمـا هجـروه تعظيماً للسنة وتوقيراً لها .

فروى مسلم في ﴿ صحيحه ﴾ عن سالم بن عبد اللـه أن عبـد الله بن عمر قـال : (سـمعت النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم يقـول : ((لا تمنعـوا نسـاءكم المسـاجد إذا اسـتأذنكم إليهـا)) . قال فقال بلال بن عبد الله : والله لنمنعهنَّ ، قال فأقبل عليـه عبد الله فسبَّه سبّاً سيئاً ، ما سـمعته سـبَّه مثلـه قـط . وقـال أُخبرك عن رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم وتقـول واللـه لنمنعهنّ)

وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مغفل أَنـه رأى رجلاً يخذف فقال له : (لا تخذف ، فإن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم نهى عن الخـذف ـ أو كـان يكـره الخـذف ـ وقـال : ((إنه لا يصاد به صيد ولا ينكأ به عدو ، ولكنها قد تكسر السِّـنَّ وتفقأ العين)) . ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له : أُحـدثك عن رسول الله صلى اللـه عليـه وسلم أنـه نهى عن الخـذف ـ أو كره الخذف ـ وأنت تخذف ؟! لا أُكلمك كذا وكذا) .

وروى البخاري في " صحيحه " ﴿ 3 / 475 ـ فتح ﴾ عن الزبير بن عربي قال : سأل رجل ابن عمـر رضـي اللـه عنهمـا ، عن اسـتلام الحجـر ، فقـال : رأيت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم يسـتلمه ويقبلـه ، قـال قلت : أرأيت إن زحمت ، أرأيت إن غلبت .قال (اجعل أرأيت باليمن. رأيت رسول اللـه صـلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله) . قال الحافظ ابن حجر على قول ابن عمر : (اجعل أرأيت بـاليمن) : وإنمـا قـال لـه ذلـك لأنه فهم منه معارضة الحديث بالرأي فأنكر عليه ذلـك وأمـره إذا سمع الحديث أن يأخذ به ويتقي الرأي .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما لمن عـارض السـنة بقـول أَبي بكر وعمـر رضـي اللـه عنهمـا : (واللـه مـا أراكم منتهين حتى يعذبكم الله . أُحدثكم عن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم ، وتحدثونا عن أبي بكر وعمر) .

ـ **قـال** العلامـة سـليمان بن عبـد اللـه بن محمـد بن عبـد الوهـاب رحمهم اللـه : (فـإذا كـان هـذا كلام ابن عبـاس لمن عارضه بأبي بكر وعمر . وهمـا همـا . فمـاذا تظنـه يقـول لمن يعارض سنن الرسول صلى الله عليه وسـلم بإمامـه وصـاحب مذهبه الـذي ينتسـب إليـه . ويجعـل قولـه عيـاراً على الكتـاب والسنة ، فمـا وافقـه قبلـه ومـا خالفـه رده ، أو تأوَّلـه ، فاللـه المستعان .

وما أحسن ما قال بعض المتأخرين :

فـإن جـاءهم فيه الدليل موافـقاً لمـا كان للآباء إلـيه ذهــابُ
رضـوه وإلا قـيل هـذا مـؤول ويركب للـتأويل فـيه صعـابُ

ولا ريب أن هـــذا داخـــل في قولـــه تعـــالى : { **اتخـــذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**} [التوبة / 31])[4] .

ـ **وقال** أبو السائب : (كنا عنـد وكيـع : فقـال لرجـل عنـده ممن ينظـر في الـرأي : أشـعر رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم ، ويقول أبو حنيفة هو مُثلَه . قال الرجل : فإنه قد رُوي عن إبراهيم النخعي أنه قال : الإشعار مُثلة ، قال فرأيت وكيعاً غضب غضباً شديداً . وقال : أقول لك قال رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم ، وتقول قال إبراهيم . ما احقـك بـأن تحبس[5] ثم لا تخرج حتى تنـزع من قولك هذا)[6] . وهذا الـذي ينبغي أن يفعل فيمن رام الوقوف أمام النُّصوص ومعارضتها بقول فلان وفلان ، بحجَّة أنه أعلم منك !!

وروى أبو يعلى في ((طبقات الحنابله)) (1 / 251) عن الفضل بن زيـاد ، عن أحمـد بن حنبـل قـال : (بلـغ ابن أبي ذئب ، أن مالكاً لم يأخذ بحديث : ((البيعـان بالخيـار)) فقـال : (يسـتتاب في الخيار فإن تاب وإلا ضربت عنقه) ومالك لم يـردَّ الحـديث ولكن تأوله على غير ذلك ...)

[4] تيسير العزيز الحميد ص 544 , 545 .
[5] وما أكثر الذين نُريد أن يُحبسوا في هذا الزمان ، كل ما قلنا لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا الشيخ فلان أجاز ، وكأن الشيخ مصدر للتشريع ، فنبرأ إلى الله من أهل الأهواء .
[6] جامع الترمذي 3 / 250 . والفقيه والمتفقه 1 / 149 .

وهكذا (كان السلف الطيب يشتد نكيرهم وغضبهم على من عارض حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم برأي أو قياس أو استحسان أو قول أحد من الناس كائناً من كان ، ويهجرون فاعل ذلك ، وينكرون على من يضرب لهم الأمثال . ولا يسوِّغون غير الانقياد له والتسليم والتلقي بالسمع والطاعة ، ولا يخطر بقلوبهم التوقُّف في قبوله . حتى يشهد له عمل أو قياس أو يوافق قول فلان و فلان ، بل كانوا عاملين بقوله تعالى : { **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** } ، وبقوله تعالى : { **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما** }.... وأمثالها . فدُفعنا إلى زمان إذا قيل لأحدهم : ((ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كذا وكذا)) يقول : من قال بهذا ، ويجعل هذا دفعاً بصدر الحديث ، أو يجعل جهله بالقائل به حجة له بمخالفته وترك العمل به . ولو نصح نفسه لعلم أن هذا الكلام من أعظم الباطل ... ولا يُعرف إمام من أئمة الإسلام البتة قال : لا نعمل بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نعرف من عمل به فإن جهل من بلغه الحديث من عمل به لم يحل له أن يعمل به كما يقول هذا القائل)[7] .

* * * * *

[7] إعلام الموقعين 4 / 244 , 245 .

فصل : في ذم التقليد

اعلم أن التقليــد هــو قبــول قــول القائــل من غــير معرفــة لدليلــه ، (ولا خلاف بين النــاس أن التقليــد ليس بعلم ، وأن المقلــد لا يطلــق عليــه اســم عــالم)[8] . ولــذلك نهى العلمــاء رحمهم اللــه عن تقليــدهم ، قــال الأئمــة رحمهم اللــه : (كــلٌ يؤخذ من قوله ويترك إلاَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

ـ قال الإمام أبو حنيفــة رحمــه اللــه : (إذا جــاء الحــديث عن رسول الله صلى الله عليه وســلم فعلى الــرأس والعين ، وإذا جاء عن الصحابة رضي اللــه عنهم فعلى الــرأس والعين ، وإذا جاء عن التابعين ، فهم رِجال ونحن رِجال) .

ـ وقال مالك : (كلنا رادٌ ومردود عليه إلاَّ صاحب هذا القبر) . يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ وقال الإمام الشافعي رحمه الله : (إذا صــح الحــديث فهــو مذهبي) . وقال : (إذا خالف قــولي قــول رســول اللــه صــلى الله عليه وسلم ، فاضــربوا بقــولي عُــرض الحائــط) . وقــال : (أجمع المسلمون على أن من استبانت له ســنة رســول اللــه صلى الله عليه وسلم ، لم يكن له أن يدعها لقول أحد) .

ــ وقــال الأمــام أحمــد رحمــه اللــه : (عجبت لقــوم عرفــوا الإسناد وصحته ويذهبون إلى رأي سفيان ، والله تعالى يقول : {**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصــيبهم فتنــة أو يصيبهم عذاب أليم** } [النــور / 63] .) . وقال : (لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشــافعي ولا الأوزاعي ولا الثــوري وخــذ من حيثُ أخذوا) .

ـ ويقول عبد الله بن عباس رضي اللــه عنهمــا : (يوشــك أن ينزل عليكم حجارة من السماء ، أقول قال رسول اللــه صــلى الله عليه وسلم ، وتقولون قال أبو بكر وعمر ؟!)[9] .

ـ وقال الشيخ العلامة سليمان بن عبــد اللــه رحمــه اللــه : (بل الفرض والحتم على المــؤمن إذا بلغــه كتــاب اللــه وســنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعلم معنى ذلك ، في إي شيء كان ، أن يعمل به ، ولو خالفه من خالفــه ، فبــذلك أمرنــا ربنــا تبارك وتعالى ، ونبينا صلى الله عليه وسلم ، وأجمع على ذلك

[8] إعلام الموقعين 1 / 45 .
[9] فتح المجيد ص 387 , 388 .

العلماء قاطبة ، إلا جهال المقلدين وجفاتهم ، ومثل هؤلاء ليسو من أهل العلم كما حكى الإجماع على أنهم ليسوا من أهل العلم أبو عمر بن عبد البر وغيره)[10] .

ـ وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم) .

ـ وقال الإمام الأوزاعي رضي الله عنه : (عليك بآثارِ من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك وآراء الرِجال وإن زخرفوه لك بالقول) .

ـ ويقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى : (ومن فقد الدليل ضلَّ السبيل)[11] .

ـ وقال ابن القيم رحمه الله :

والله ما خوفي الذنوب وإنها لعلى سبيل العفو والغفرانِ

لكنما أخشى انسلاخ القلب عن تحكيم هذا الوحي والقرانِ

ورضاً بآراء الرجال وخرصِها لا كان ذاك بمنَّة الديانِ

مقتضيات الشهادة بالنبوة ولوازمها :

ـ **قال** الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في شرحه لكتاب التوحيد : (وقوله : ((وأن محمداً عبده ورسوله)) ، أي شهد أن محمداً عبده ورسوله ، أي بصدقٍ ويقين ، وذلك يقتضي اتباعه ، وتعظيم أمره ونهيه ، ولزوم سُنته صلى الله عليه وسلم ، وأن لا تُعارض بقول أحد ، لأن غيره صلى الله عليه وسلم يجوز عليه الخطأ ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد عصمه الله تعالى ، وأمرنا بِطاعته والتأسِّي به والوعيد على ترك طاعته بقوله تعالى:{**وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخِيرةُ من أمرِهم**} [الأحزاب / 36] وقال : {**فليحذر الذين يُخالفون عن أمرهِ أن تُصيبهم فتنه أو يُصيبهم عذابٌ**

[10] تيسير العزيز الحميد ص 546 , 547 .
[11] أجعل منهجك يا أخا التوحيد وطريقك إتباع الدليل على فهم الصحابة والتابعين ولا تلتفت لمن خالفك من رعاع العصر .

أليم} [النور / 63] . قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : ((أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الشـرك ، لعلّـه إذا ردّ بعض قولـه أن يقـع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك))[12]. وقد وقع التفريط في المُتابعـة وتركهـا ، وتقـديم أقـوال من يجـوز عليهم الخطـأ ، على قولـه صلى الله عليه وسلم ، لا سيما من العلماء كما لا يخفى)[13]

ـ **قال** الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله تعـالى : (قـال ابن رجب ... فمن أحب الله ورسوله محبـة صـادقة من قلبـه ، أوجب ذلك له أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله ، ويكـره مـا يكرهه الله ورسـوله ، ويرضـى بمـا يرضـى بـه اللـه ورسـوله ، ويسخط ما يُسخط الله ورسوله ، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحُب والبُغض .

فإن عمل بجوارحه شيئاً يُخـالف ذلـك ، بـأن ارتكب بعض مـا يكرهه الله ورسوله ، أو ترك بعض مـا يُحبـه اللـه ورسـوله مـع وجوبـه والقـدرة عليـه ، دلَّ ذلـك على نقص محبتـه الواجبـة ، فعليه أن يتوب من ذلك ، ويرجع إلى تكميـل المحبـة الواجبـة . فجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفس[14] على محبة الله ورسـوله ...وكـذلك البـدع ، إنمـا تنشـأ من تقـديم الهـوى على الشرع ، ولهذا سُمي أهلُها أهل الأهواء ، وكذلك المعاصي إنمـا تنشأ من تقديم الهوى على محبـة اللـه ومحبـة مـا يحبـه اللـه ، وكذلك حُب الأشخاص الواجب فيه أن يكـون تبعـاً لمـا جـاء بـه الرسول صلى اللـه عليـه وسـلم ...و ((من أحب للـه ، وأبغض لله ، وأعطى لله ومنع لله ، فقد أستكمل الإيمان)) . ومن كان حُبه ، وبُغضه ، وعطاؤه ، ومنعه لهوى نفسه ، كان ذلـك نقصـاً في إيمانه الواجب ، فتجب عليه التوبة من ذلك ، والرجـوع إلى إتباع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من تقديم محبـة الله ورسوله ومـا فيـه رضـى اللـه ورسـوله على هـوى النفس ومُرادِها)[15] .

[12] فإن كثيراً من طلاب الحق اليوم تركوا الحق لأنه يُخالف واقعهم ويُخالف أهوائهم وملذاتهم من الدنيا وحطامها ، فليتقوا الله هؤلاء من الزيغ والهلاك إذ لم يتبعوا الحق . نسأل الله الثبات .

[13] قرة عيون الموحدين ص 26 .

[14] اتباع الهوى صار يُعبد من دون الله ، كما في قوله تعالى : { **أفرءيت من اتخذ إلهه هواه وأضله اللهُ على علم** } [الجاثية / 23] .

[15] تيسير العزيز الحميد ص 569 , 570 .

ـ **وقال** الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمـه اللـه (هـذا هـو الغـالب على كثـير من النـاس : ردّ الحـق لمخالفـة الهـوى ، ومُعارضـته بـالآراء ، وهـذا من نقص الـدين وضـعف الإيمـان واليقين)[16].

الحذر... الحذر... من شرك الطاعة :

ـ **قال** الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه اللـه في شـرحه على كتاب التوحيد : (وفي الحديث ـ أي حديث عدي بن حاتم ـ دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية اللـه عبـادة لهم من دون اللــه ، ومن الشــرك الأكــبر الــذي لا يغفــره الله)[17] .

ـ **وقال** رحمـه اللـه : (.. النـوع الثـالث : شـرك الطاعـة ، والدليل قوله تعالى : { **اتخذوا أحبارهم ورُهبانهم أرباباً من دون اللــه والمســيح ابن مــريم ومــا أمِــروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشرِكون** } [التوبــة / 31] . وتفسيرها الذي لا إشكال فيه : طاعـة العلمـاء[18] والعباد في المعصـية ، لا دعـاءهم إيـاهم ، كمـا فسـرها النـبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم لمَّا سـأله، فقـال : لسـنا نعبدهم ! فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية)[19] .

* * * * *

16 مجموعة الرسائل والمسائل النجدية 4 / 294 .
17 فتح المجيد ص 390 .
18 وقد أصبح واضحاً جلياً في كثير من أمصار المسلمين اليوم ، فإن علماء الضلالة أُتُخِذوا أرباباً من دون الله ، كما في مصر وغيرها .
19 مجموعة التوحيد ص 5 .

الباب الثاني : حقيقـة الإسـلام

الفصل الأول : حقيقة التوحيد

أصل دين الإسلام :

ـ **قال** الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى معرِّفاً الإسـلام بقولـه : (أصـل دين الإسـلام ، وقاعدتـه : أمـران ؛ **الأول** : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والتحـريض على ذلك ، والموالاة فيـه ، وتكفـير[20] من تركـه . **الثاني** : الإنـذار عن الشرك في عبادة الله ، والتغليظ في ذلك ، والمعاداة فيه ، وتكفير من فعله)[21] .

ـ **وقال** الشيخ عبد الـرحمن بن حسـن رحمـه اللـه تعـالى : (وأصل الإسلام ، وأساسه أن ينقاد العبد لله تعـالى بـالقلب والأركان ، مذعناً له بالتوحيد ، مفرداً له بالإلهية والربوبيه دون كـل مـا سِـواه ، مُقـدِّماً مُـراد ربِّه على كـل مـا تحبـه نفسه[22] وتهواه)[23] .

ـ **وقال** الشيخ محمد بن عبـد الوهـاب رحمـه اللـه تعـالى : (اعلم رحمك الله : أن دين الله يكون على القلب بالاعتقـاد ، وبالحب والبغض ، ويكون على اللِسان بـالنطق وتـرك النطـق بالكفر ، ويكـون على الجـوارح بفعـل أركـان الإسـلام ، وتـرك الأفعال التي تُكفر ، فإذا اختل واحـدة من هـذه الثلاث ، كفر[24] وارتد)[25] .

النطق بكلمة التوحيد من غـير علم بمعناهـا ولا عمل بمقتضاها غير نافع بالإجماع :

ـ **قـال** الشـيخ سـليمان بن عبـد اللـه رحمـه اللـه تعـالى : (قولـه : ((من شـهد أن لا إلـه إلاَّ اللـه)) ، أي : من تكلم بهـذه الكلمة عارفاً لمعناها ، عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً ، كمـا دل عليه قوله : { **فاعلم أنه لا إله إلاَّ الله** } [محمد / 19] ، وقوله : { **إلاَّ من شـهد بـالحق وهم يعلمـون** } [الزخـرف / 86] أمـا

---

[20] أنظر وتأمل أن الشيخ رحمه الله جعل التكفير من قواعد الإسلام خلافاً لمرجئة العصر .
[21] الدرر السنية 2 / 22 .
[22] واليوم يُتبع الهوى ولا يُتبع النص .
[23] مجموعة الرسائل والمسائل النجدية 4 / 420 .
[24] خلافاً لغلاة المرجئة الذين يشترطون في الكفر الجحود والاستحلال .
[25] الدرر السنية 10 / 87 .

النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها ، فإن ذلك غير نافع بالإجماع ...فتباً لمن كان أبو جهل ورأس الكفر من قريش وغيرهم[26] أعلم منه بـ : ((لا إله إلاَّ الله)))[27]

ـ **وقال** عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في شرحه لكتاب التوحيد : (فمن قالها ــ أي لا إله إلاَّ الله ــ وعمل بها صدقاً وإخلاصاً ، وقبولاً ومحبةً وانقياداً ، أدخله الله الجنّة على ما كان من العمل)[28] .

ـ **وقال** الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : (فإذا عرفت أن جُهال الكُفار يعرفون ذلك ، فالعجب ممن يدعي الإسلام ، وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جُهال الكفار ، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها ، من غير اعتقاد القلب ، بشيء من المعاني ؛ والحاذق منهم ، يظن : أن معناها لا يخلق ، ولا يرزق ، ولا يُحيي ، ولا يُميت ، ولا يُدبر الأمر إلاَّ الله ، فلا خير في رجل جُهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلاَّ الله)[29] .

ـ **وقال** رحمه الله : (لا خلاف بين الأمة أن التوحيد لابُد أن يكون بالقلب الذي هو : العلم ، واللسان الذي هو : القول ، والعمل الذي هو : تنفيذ الأوامر والنواهي ؛ فإن أخل بشيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً [30]. فإن أقرَّ بالتوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون ، وإبليس ، وأن عمل بالتوحيد ظاهراً وهو لا يعتقده باطناً فهو منافق خالصاً ، أشر من الكافر)[31] .

ـ **وقال** رحمه الله : (اعلم رحمك الله ، أن معنى لا إله إلاَّ الله نفي وإثبات ، تنفي أربعة أنواع وتُثبت أربعة أنواع : **تنفي** الالهة ، والطواغيت ،والأنداد ، والأرباب . **فالالهة** : ما قصدته بشيء من جلب خير أو دفع ضر فأنت متَّخذه إلهاً . **والطواغيت** : من عُبد وهو راضٍ أو رُشِح للعبادة ، مثل

[26] والمصيبة اليوم أن أكثر الناس لا يعرف معنى لا إله إلاَّ الله ، والذي يعرف معناها لا يعمل بها ، بل يرتكب ناقضاً لها ، وكأن ذلك لا يضر توحيده ، وما علم المسكين أنه قد انتقض توحيده وارتدّ بعد إسلامه .
[27] تيسير العزيز الحميد ص 72 _ 77 .
[28] قرّة عيون الموحدين ص 32 .
[29] الدرر السنية 1 / 70 .
[30] خلافاً للمرجئة الذين يقولون الإيمان اعتقاد بالقلب ، والصحيح أنه اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالجوارح ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .
[31] الدرر السنية 2 / 124 , 125 .

السمان أو تاج أو أبي حديـدة . **والأنـداد** : مـا جـذبك عن دين الإسلام من أهل أو مسـكن أو عشيرة أو مال ، فهو ندّ لقــوله تعـالى : { **ومن النـاس من يتخـذ من دون اللـه أنـداداً يُحبونهم كحب الله** } [البقــرة / 165] . **والأرباب** : من أفتـاك بمخالفة الحـق وأطعته[32] ، مصـداقاً لقولـه تعـالى : { **اتخذوا أحبارهم أترهبانهم أربابا من دون الله والمســيح ابن مريم وما أُمِروا إلاَّ ليعبـدوا إلهـاً واحـداً لا إلـه إلاَّ هـو سبحانه عمّا يُشرِكون** } [التوبة / 31] .

وتثبت أربعة أنواع : القصـد ، وهـو كونـك مـا تقصـد إلاَّ اللـه والتعظيم والمحبة لقولـه عـزّ وجـلّ : { **والذين آمنـوا أشـدُ حباً لله** } [البقرة / 165] ، والخوف والرجاء ، لقوله تعالى : { **وإن يمسسك الله بِضـر فلا كاشـف لـهُ إلاَّ هـو وإن يُـردك**

[32] وما أكثر الذين أفتوا بمخالفـة الحـق وأُطيعـوا ، وبـذلك صـاروا أربابـاً ، وأول هـؤلاء الـذين أُتُخِـذوا أرباباً في هـذا العصـر ، الطاغوت القرضاوي ، الذي أضلَّ الأمة وأحل كُل شيء لها ، ومن دُعاة تخريب المرأة واختلاطها بالرجـال وتشـجيعها للتمثيـل والفن والغناء ، ومن ضلالاته وكفرياته التي وقع فيها :

أ - التساهل مع اليهود والنصارى الكافرين ، فهو يرى موالاة المسالمين منهم (الحلال والحـرام ،ص 307 (ـ ط 14)) ، واحترام أديانهم السماوية ـ المحرفة ـ (الإسلام والعلمانية ، ص 101) وأنهم إخوان لنا (نحو وحدة فكرية للعاملين للإسلام ، ص 81) ، وأن حربنا مع اليهود ليست من أجل العقيدة !! (أنظر مجلة البيان ، العدد 124 ، وجريدة الرايـة القطريـة العـدد 4696) .

ب - التساهل مع أهل البدع والضلالات والتهـوين من شـأن البـدع الكفريـة أو الـردّ عليهـا (الصـحوة الإسـلامية بين الجهـود والتطرف ، ص 89) .

ج - أنه يُنكر رؤية الله عزَّ وجلّ في الآخرة على طريقة أهل السُنّة ويُثبتها على طريقة الأشاعرة المبتدعة !! والله عز وجل يقول { **وجوهٌ يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة** } (المرجعة العليا في الإسلام ، ص 348) .

د - أنه يرى التقريب مع الرافضة ، والذي من عقيدتهم الطعن في القرآن وتأليه علي بن أبي طـالب رضـي اللـه عنـه ولعن الصحابة الكِرام الذين امتدحهم الله بقوله : { **محمدٌ رسول الله والـذين معـه أشـداء على الكفـار رحمـاء بينهم** } (الخصائص العامة للإسلام ، ص 209) .

هـ - أنه يدعوا إلى الديمقراطية ـ الكافرة ـ التي مؤداها التحاكم إلى غـير شـرع اللـه ، واللـه عـزَّ وجـلّ يقـول : { **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** } (الفتاوى المعاصرة (2 / 637) .

و - سلوكه منهج العقلانيين ــ أفراخ المعتزلـة ــ ، وتوقفـه عن قبـول بعض الأحـاديث الصـحيحة ، بـدعوى معارضـتها لظـاهر القرآن أو عقل الإنسان ، والله عزّ وجلّ يقول : { **وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهـاكم عنـه فـانتهوا** } ومن أمثلـة ذلك :

أولاً - ثبت في مسلم مرفوعاً ((إن أبي وأباك في النار)) وأجمـع العلمـاء على ذلـك . قـال القرضـاوي : **قلت : ما ذنب عبد الله بن عبد المطلب حتى يكون في النار وهو من أهل الفترة والصحيح أنهم ناجون** ؟!!! (كيـف نتعامـل مع السنّة النبوية ، ص 97) .

ثانياً - ثبت في الصحيحين مرفوعاً ((يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح)) . قال القرضاوي : **من المعلـوم المـتيقن الـذي أتفق عليه العقل والنقل أن الموت ليس كبشاً ولا ثوراً ولا حيواناً من الحيوانـات** . (كيـف نتعامـل مـع السـنّة النبوية ، ص 162) .

ثالثاً - ثبت في الصحيحين مرفوعاً ((لن يُفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)) . قال القرضاوي : **هـذا مقيـد بزمـان الرسـول صلى الله عليه وسلم الذي كان الحكم فيه للرجال استبدادياً ، أما الآن فلا** . (برنامج في قناة art ، بتاريخ 4 / 7 / 1418 هـ ، وهو ندوة عُقِدت للقرضاوي مع جمع من المتبرجات ليُحاكم لهم النصوص النبوية) .

رابعاً - وثبت في الصحيح ((ما رأيت من ناقصات عقل ودين أسلب للب الرجل الحازم من إحـداكن)) . قـال القرضـازي : **إن ذلك كان من الرسول على وجه المُزاح** ، وهذا ردٌ صريح لحديث النبي صلى الله عليه وسلم وتقـديم عقلـه الفاسـد عليه . (قاله في نفس الندوة) .

خامساً - وثبت في الصحيح ((لا يُقتل مسلم بكافر)) . قال القرضاوي ـ بعد أن قرر أن المسلم يُقتل بالكافر خلافاً للحديث ــ : **إن هذا الرأي هو الـذي لا يليـق بزماننـا غـيره .. ونحن بـترجيح هـذا الـرأي نبطـل الأعـذار ونعلي رايـة الشريعة الغراء** (الشيخ الغزالي كما عرفته ، ص 168) .

وأيضاً قال مثال فيه السخرية بالله العلي العظيم ، وأنه من الذين أنكروا هدم صنم بوذا وتصدى لهذه القضية ، والمصيبة العظمى أن هناك من الدعاة من يُدافع عنه ويرفع من شأنه ، ولا يُدافع عن القرضاوي إلاَّ جاهل بالتوحيد ، وبعد هذا يتبين كُفره وردته عن الإسلام ، نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه .

بخـير فلا راد لفضـله يُصـيبُ بـه من يشـاء من عبـاده وهو الغفور الرحيم } [يونس / 107] .

فمن عرف هذا قطع العلاقة مـع غـير اللـه ، ولا تكبُـر عليـه : جهامة الباطل ، كمـا أخـبر اللـه عن إبـراهيم على نبينـا وعليـه أفضل الصلاة والسلام بتكسيره الأصنام وتبرِّيه من قومه لقوله تعـالى : { **قــد كـانت لكم أُسـوةٌ حسـنةٌ في إبــراهيم والذين معه إذ قالوا لقـومهم إنّـا بُـرءاؤا منكم وممـا تعبدون من دون الله كفرنا بكم** } الآية [الممتحنة / 4])[33] .

ـ **وقال** الشيخ سليمان بن عبد الله يرحمـه اللـه : (ولا ريب أنه لو قالها أحد من المشركين ـ أي لا إله إلاَّ الله ـ ونطق أيضاً بشـهادة أن محمـداً رسـول اللـه ، ولم يعـرف معـنى الإلـه ولا معنى الرسول ، وصـلى ، وصـام ، وحج ، ولا يـدري مـا ذاك إلاَّ أنه رأى الناس يفعلونه ، فتابعهم ولم يفعل شيء من الشرك ، فإنه لا يشك أحـد في عـدم إسـلامه ، وقـد أفـتى بـذلك فقهـاء المغــرب كلهم في أول القــرن الحــادي عشــر أو قبلــه ، في شخص كان كذلك ، كمـا ذكـره صـاحب ((الـدُر الثمين في شرح المرشد المُعين)) من المالكية ، ثم قـال شـارحه : وهـذا الذي أفتـوا بـه جليّ في غايـة الجلاء ، لا يمكن أن يختلـف فيـه اثنان . انتهى)[34] .

معنى الإله :

ـ **قال** الشـيخ محمـد بن عبـد الوهـاب رحمـه اللـه تعـالى : (فمعنى الإله في زمانِنا : الشيخ والسيد الذي يُقال فيهم : سرٌّ ، ممن يُعتقد فيهم أنهم يجلبون منفعة أو يدفعون مضرَّة ، فمن اعتقد في هؤلاء أو غيرهم نبياً كان أو غيره هذا الاعتقـاد ، فقـد اتخذه إلهاً من دون الله ، فـإن بـني إسـرائيل لمـا اعتقـدوا في عيسى بن مريم وأمّه سمَّاهم الله إلَهين ، قـال تعـالى : { **وإذ قــال اللــه يــا عيســى ابن مــريم ءأنت قلت للنــاس اتخِذوني وأُميّ إلهين من دون الله قال سـبحانك مـا يكـون لي أن أقـول مـا ليس لي بحـق إن كنت قلتـه**

[33] مجموعة الرسائل والمسائل النجدية 4 / 34 , 35 .
[34] تيسير العزيز الحميد ص 80 , 81 .

فقـد علمتـه تعلم مـا في نفسـي ولا أعلم مـا في نفسك إنك أنت علام الغيوب } [المائدة / 116])[35] .

ـ **وقال** الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين رحمه الله تعالى : (فإذا علم الإنسان وتحقق معنى الإلـه وأنـه المعبـود ، وعرف حقيقة العبادة ، تبين له أن من جعـل شـيئاً من العبـادة لغير الله فقد عبدهُ وأتخذه إلهاً وإن فرَّ من تسميته[36] معبوداً أو إلهاً ، وسمى ذلك توسلاً وتشفُعاً والتجاءً ونحو ذلك . فالمشرك مشرك شاء أم أبى ، كما أن المُرابي مرابي شاء أم أبى ، وإن لم يُسم ما فعله رِبا ، وشارب الخمر شارب للخمر وإن سماها بغير اسمها)[37] .

عدم قصد الشرك لا يُغني عن أصحابه :

ـ **قال** محمد بن عبـد اللطيـف بن عبـد الـرحمن رحمـه اللـه تعالى : (فمن دعا غير الله ، من ميت ، أو غائب ، أو اسـتغاث به ، فهو مُشـرك كـافر ، وإن لم يقصـد إلاَّ مجـرد التقـرب إلى الله ، وطلب الشفاعة عنده)[38]

ــ **وقـال** الشـيخ عبـد الـرحمن بن حسـن رحمـه اللـه : (والمُخالف لهذا الأصل ـ أي التوحيد ـ من هذه الأمّـة أقسـام : إما طاغوت ينازع الله في ربوبيته وإلهيته ؛ ويـدعوا النـاس إلى عبادة الأوثان ، أو مشرك يدعوا غير اللـه ويتقـرب إليـه بـأنواع العبادة أو بعضها ، أو شاك في التوحيد : أهـو حـق أم يجـوز أن يجعل لله شريكاً في عبادته ؟ أو جاهـل يعتقـد أن الشـرك دين يُقـرب إلى اللـه . وهـذا هـو الغـالب على أكـثر العـوام لجهلهم وتقليدهم من قبلهم ؛ لمّا اشـتدت غُربـة الـدين ، ونُسـي العلم بدين المُرسلين)[39]

المـرء مُكلـف بمعرفـة التوحيـد ونقيضـه من الشرك الذي لا يُغفر ، ولا عُـذر فيـه بالجهـل ولا التقليد :

[35] مجموعة الرسائل والمسائل 4 / 38 .
[36] من كلام الشيخ يتبين لك ، أنه لا يُشترط معرفة الكفر وقدره .
[37] عقيدة الموحدين ، رسالة (الانتصار لحزب الله الموحدين) ص 18 .
[38] الدرر السنية 1 / 567 .
[39] فتح المجيد ص 370 .

ـ **قال** الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين : (ومن العجب أن بعض الناس إذا سمع من يتكلم في معنى هذه الكلمة نفياً وإثباتاً عاب ذلك وقال : لسنا مُكلفين بالناس والقول فيهم . فيُقال له : بل أنت مُكلّف بمعرفة التوحيد الذي خلق الله الجن والإنس لأجله ، وأرسل جميع الرُسل يدعون إليه ، ومعرفة ضده وهو الشرك الذي لا يُغفر ولا عُذر لِمُكلف في الجهل بذلك ، ولا يجوز فيه التقليد . لأنه أصل للأصول)[40] .

ـ **وقال** الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : (...وعرفت : أن هذا هو التوحيد ، الذي أفرض من الصلاة والصوم ، ويغفر الله لمن أتى به يوم القيامة ، ولا يغفر لمن جهله ، ولو كان عابداً ؛ وعرفت ؛ أن ذلك هو الشرك بالله ، الذي لا يغفر الله لمن فعله ، وهو عند الله أعظم من الزنا ، وقتل النفس ، مع أن صاحبه يُريد به التقرب من الله)[41] .

ـ **وقال** الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين : (والله سبحانه إنما افترض على الخلق طاعته ، وطاعة رسوله ، وأمرهم أن يردوا إلى كتابه وسنة رسوله ، ما تنازعوا فيه ، وأجمع العلماء على أنه لا يجوز التقليد[42] ، في التوحيد والرسالة)[43] .

ـ **وقال** الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : (فإذا عرفت : أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها ، وأحبط العمل ، وصار صاحبه من الخالدين في النار ؛ عرفت : أن أهمّ ما عليك معرفة ذلك ، لعل الله أن يُخلصك من هذه الشبكة ، وهي الشرك بالله)[44] .

* * * * *

[40] عقيدة الموحدين رسالة (الانتصار لحزب الله الموحدين) ص 16 .
[41] الدرر السنية 2 / 77 .
[42] أنتبه وأعرف الأدلة يا أخا التوحيد في مسائل التوحيد ، إذ لا يجوز التقليد بالإجماع .
[43] الدرر السنية 10 / 399 .
[44] الدرر السنية 2 / 23 .

الفصل الثاني : الكُفر بالطاغوت

أهمية الكفر بالطاغوت :

ـ **قال** الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى : (... فبيّن تعالى أنَّ المُستمسك بالعروة الوثقى ، هو الذي يكفر بالطاغوت ، وقدّم الكفر به على الإيمان بالله ، لأنه قد يدعي المدعي أنه يؤمن بالله ، وهو لا يجتنب الطاغوت ، وتكون دعواه كاذبة . وقال تعالى : { **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** } [النحل / 36] . فأخبر أن جميع المرسلين قد بُعِثوا باجتناب الطاغوت ، فمن لم يجتنبه فهو مخالف لجميع المرسلين)[45] .

ـ **وقال** الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : (التوحيد : هو الكفر بكل طاغوت عبده العابدون من دون الله ...والتوحيد هو أساس الإيمان الذي تصلح به جميع الأعمال وتفسد بعدمه)[46] .

ـ **وقال** أيضاً : (قال تعالى : { **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها** } [البقرة / 256] . فدلت الآية على أنه لا يكون العبد مستمسكاً بلا إله إلاَّ الله إلاَّ إذا كفر بالطاغوت ، وهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، ومن لم يعتقد هذا ، فليس بمسلم ، لأنه لم يتمسك بلا إله إلاَّ الله ، فتدبر واعتقد ما ينجيك من عذاب الله ، وهو تحقيق معنى لا إله إلاَّ الله نفياً وإثباتاً)[47] .

ـ **قال** الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : (بل لا يصح دين الإسلام ، إلاَّ بالبراءة[48] من هؤلاء ــ أي الطواغيت المعبُدون من دون الله ـ وتكفيرهم ، كما قال تعالى :

45 الدرر السنية 10 / 502 .
46 فتح المجيد ص 393 , 394 .
47 الدرر السنية 11 / 263 .
48 تأمل يا أخا التوحيد ماذا يقول الشيخ (لا يصح دين الإسلام) أي لا يكون العبد موحداً إلاَّ بالبراءة من الطواغيت وتكفيرهم ، واليوم لا يُسمع من علماء العصر تكفير الطواغيت والبراءة منهم ، وفي هذا العصر الذي استحكمت فيه غربة الإسلام من كفَّر طاغوتاً قام العلماء عليه ، وتكلموا عليه ، وقالوا خارجيّ من الخوارج ومتسرع وإرهابي ، ولبَّسوا على العامة ، إذ من مذهب الخوارج التكفير بالكبيرة ، وهذا كفر طاغوتاً بفعل أو قول صدر منه ، وتأمل أيضاً جعل تكفير هؤلاء الطواغيت من أصول الإسلام ، خلافاً لفروخ مرجئة العصر ، الذين يقولون ما همنا هل هذا طاغوت كافر أم لا ، لن يسألني الله عن ذلك ، فنبرأ إلى الله من هذا الضلال .

{ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى** } [البقرة / 256])[49] .

ـ **وقال** أيضاً مبيناً الفرق بين الظلم الأكبر والأصغر : (وأين الظلم الذي إذا تكلم الإنسان بكلمة منه ، أو مدح الطواغيت ، أو جادل عنهم[50] ، خرج من الإسلام ، ولو كـان صـائماً قائمـاً ؟ من الظلم الذي لا يُخرج من الإسـلام ، بـل إمـا أن يـؤدي إلى صاحبه بالقصاص ، وإما أن يغفره الله ، فبين الموضعين فـرق عظيم)[51] .

ـ **وقال** رحمه اللـه : (اعلم رحمـك اللـه تعـالى ، أن أول مـا فـرض اللـه على ابن أدم الكفـر بالطـاغوت والأيمـان باللـه ، والدليل قوله تعالى : { **ولقد بعثنا في كـل أمـة رسـولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** } [النحل / 36])[52] .

ـــ **وقــال** في كتــاب التوحيــد : (**المســألة الســابعة** : المسألة الكبيرة ، أن عبادة الله لا تحصل إلاَّ بالكفر بالطاغوت)[53] .

ـ **وقال** الشيخ سليمان بن عبد اللـه : (لأن معـنى التوحيـد وشـهادة أن لا إلـه إلاَّ اللـه ، أن لا يُعبـد إلاَّ اللـه وأن لا يعتقـد النفع والضر إلاَّ في الله ، وأن يكفـر بمـا يعبـد من دون اللـه ، ويتبرأ منها ومن عابديها)[54] .

ـ **وقال** الشيخ محمد بن عبـد الوهـاب في كتـاب التوحيـد : (وهذا من أعظم ما يُبين معنى لا إله إلاَّ الله ، فإنـه لم يجعـل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناهـا ، بـل لا يحرم ماله ودمه حتى يُضيف إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله[55] ، فإن شك أو تردد لم يُحرم ماله ودمه) .

معنى الطاغوت :

[49] الدرر السنية 10 / 53 .
[50] أنتبه من الجدال عن الطواغيت يا من أُصبت بالجُبن والخور ، إن لم تستطع قول الحق فلا تقل الباطل ، وكلام الشيخ كلام نفيس .
[51] الدرر السنية 10 / 55 , 56 .
[52] الدرر السنية 1 / 161 .
[53] فتح المجيد ص 29 .
[54] تيسير العزيز الحميد ص 152 .
[55] يعني الكفر بالطاغوت .

ـ **قال** الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين رحمه الله : (اسم **الطاغوت** يشمل كل معبود من دون الله ، وكل رأس في الضلال يدعوا إلى الباطل ويُحسنه ، ويشمل أيضاً كل من نصبه الناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية المُضادة لحكم الله ورسوله ، ويشمل أيضاً الكاهن والساحر وسدنة الأوثان إلى عبادة المقبورين وغيرهم بما يكذِبون من الحكايات المُضلة للجهال ، الموهمة أن المقبور ونحوه ، يقضي حاجة من توجه إليه وقصده، وأنه فعل كذا وكذا ، مما هو كذب ، أو من فعل الشياطين ،ليوهموا الناس أن المقبور ونحوه يقضي حاجة من قصده ، فيوقعهم في الشرك الأكبر وتوابعه . وأصل هذه الأنواع كلها ، وأعظمها ، الشيطان ، فهو الطاغوت الأكبر)[56] .

ـ **وقال** الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله : (..وقال مجاهد : الطاغوت : الشيطان في صورة الإنسان ، يتحاكمون إليه وهو صاحب أمرهم ...وقال ابن القيم : الطاغوت ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود أو متبوع أو مطاع . فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله[57] ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ، فهذه طواغيت العالم ، إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت ، وعن طاعته ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم إلى طاعة الطاغوت ومتابعته)[58] .

ـ **قال** الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : (والطواغيت كثيرة ، ورؤوسهم خمسة . **الأول** : الشيطان ، الداعي إلى عبادة غير الله ، والدليل قوله تعالى : { **ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين** } [يس / 60] . **الثاني** : الحاكم الجائر ، المغيِّر لأحكام الله

[56] مجموعة التوحيد ص 138 .
[57] تأمل ذلك يا أخا التوحيد .
[58] تيسير العزيز الحميد ص 49 , 50 .

تعـالى ، والـدليل قولـه تعـالى : { **ألم تـرى إلى الـذين يزعمـون أنهم آمنـوا بمـا أنـزِل إليـك ومـا أُنـزِل من قبلك يُريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمِـروا أن يكفروا به ويُريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيـدا** } [النســاء / 60] . ـ **الثالث** : الـذي يحكم بغـير مـا أنـزل الله[59] ، والـدليل قولـه تعـالى : { **ومن لم يحكم بمـا أنـزل اللـه فأُلئِك هم الكافرون** } [المائــدة / 44] . ـ **الرابع** : الذي يـدعي علم الغيب من دون اللـه ، والـدليل قولـه تعـالى : { **عـالم الغيب فلا يظهر على غيبـه أحـدا إلا من ارتضـى من رسولٍ فإنه يسلك من بين يديـه ومن خلفـه رصـدا**} [الجن / 26،27] ، وقال تعالى : { **وعنده مفاتِح الغيب لا يعلمُها إلا هـو ويعلم مـا في الـبر والبحـر ومـا تسـقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظُلمت الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كِتابٍ مُبين** } [الأنعــام / 59] . ـ **الخـامس** : الذي يُعبد من دون الله ، وهـو راضٍ بالعبـادة ، والـدليل قولـه تعالى : { **ومن يقل منهم إني ًإله من دون الله فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين** } [الأنبياء / 29] .

واعلم[60] : أن الإنســان مــا يصــير مؤمنــاً باللــه إلاَّ بــالكفر بالطاغوت)[61] .

معنى الكفر بالطاغوت :

ـ **قال** الشـيخ محمـد بن عبـد الوهـاب رحمـه الله تعـالى : (ومعنى الكفر بالطاغوت ، أن تبرأ من كل ما يعتقد فيـه غـير الله ، من جني أو إنسي أو شجر أو حجر أو غير ذلك ، وتشهد عليه بالكفر والضلال ، وتبغضه ولو كان أباك و أخاك .

فأمـا من قـال أنـا لا أعبـد إلاَّ اللـه ، وأنـا لا أتعـرَّض السَّـادة والقباب على القبور وأمثال ذلك ، فهذا كاذب في قـول لا إلـه إلاَّ الله ، ولم يؤمن بالله ، ولم يكفر بالطاغوت)[62] .

[59] يتبين لك كفر وردّة حكام المسلمين في هذا العصر ، لأنهم لم يحكموا بشريعة الرحمن ، إنما حكموا بشريعة الشيطان ، وحكّموا القوانين الوضعية في المسلمين وألزموهم بها .
[60] تأمل كلام الشيخ ، جعل الذي لا يكفر بالطاغوت لا يكون مؤمناً بالله ، فأفهمه .
[61] الدرر السنية 1 / 161 _ 163 .
[62] مجموعة الرسائل والمسائل النجدية 4 / 33 , 34 .

ـ **وقـال** الشـيخ سـليمان بن سـحمان رحمـه اللـه تعـالى : (والمراد من اجتنابه ـ أي الطاغوت ـ هـو بغضـه ، وعداوتـه بالقلب ، وسبَّه[63] وتقبيحه باللسان ، وإزالته باليد عند القـدرة ، ومُفارقته[64] ، فمن أدعى اجتناب الطاغوت ولم يفعل ذلك فما صدق)[65] .

ـ **وقال** الشـيخ محمـد بن عبـد الوهـاب رحمـه اللـه تعـالى : (فأما صفة الكفر بالطـاغوت : فـأن تعتقـد بطلان عبـادة غـير اللـه ، وتتركهـا ، وتبغضـها ، وتُكفـر أهلهـا ، وتعـاديهم[66] ، وأمـا معـنى الإيمـان باللـه فـأن تعتقـد ، أن اللـه هـو الإلـه المعبـود وحده ، دون ما سواه ، وتخلص جميع أنواع العبادة كلهـا للـه ، وتنفيها عن كل معبود سواه ، وتُحب أهـل الإخلاص وتـواليهم ، وتبغض أهل الشـرك ، وتُعـاديهم ، وهـذه : ملـة إبـراهيم الـتي سفِه نفسه من رغب عنها ؛ وهذه : هي الأسوة التي أخبر الله بهـا في قولـه : { **قـد كـانت لكم أسـوة حسـنةٌ في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنَّا برُءاؤا منكم وممـا تعبـدون من دون اللـه كفرنـا بكم وبـدا بيننـا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده** } [الممتحنة / 4])[67] .

* * * * *

السكوت على المنكر مع القدرة على إنكـاره ، دليل على الرضا به ، فكيف بمن ظاهر وأعان عليه !!

ـ **قال** الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله : (وقد ذكـر شيخنا ـ أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمـه اللـه تعـالى في مختصر السيرة له : ذكر الواقدي أن خالد بن الوليد ، لمـا

[63] إذ أن كثيراً من شباب الصحوة اليوم يقولون لن يسألني الله عن فلان وفلان فلا تتكلموا فيهم ـ يعنون الكلام في الطواغيت ـ .
[64] أين مفارقة الطواغيت ، ونحنو نرى ممن يدعيّ العلم يدخل عليهم ويضحك معهم ويؤاكلهم ، إلى غير ذلك من الضلال .
[65] الدرر السنية 10 / 502 , 503 .
[66] كلما علمت عن الطاغوت عليك أن تكفر به ، أي تبغضه وتعاديه وتسبّه وتكفره ، وتعتقد بطلان عبادته وتتركه ، والمشكل أن علماء العصر لم يعلموا الناس من هو الطاغوت ، ولا شك الطواغيت كثيرة ، ولم نر منهم تطبيق على الواقع ، ومثال ذلك (صدام حسين) لم نعرف أنه طاغوت حتى دخل على بلاد المسلمين ، فماذا يعني ذلك !! .
[67] الدرر السنية 1 / 161 .

قدم العارض ، قدم مائتي فارس ، فأخـذوا مجَّاعـة بن مـرارة في ثلاثة عشر رجلاً من قومه بني حنيفة ، فقال لهم خالـد بن الوليد : ما تقولون في صاحبكم ـ مسيلمة الكذاب ـ ؟ فشهدوا أنه رسول اللـه ، فضـرب أعنـاقهم ، حـتى إذا بقي سـارية بن عامر قال : يا خالد إن كنت تريد بأهـل اليمامـة خـيراً أو شـراً فأستبق مجَّاعة ، وكان شريفاً فلم يقتله ، وترك سارية أيضـاً ، فأمر بهما فأوثقا في مجامع من حديـد ، فكـان يـدعوا مجَّاعـة وهو كذلك فيتحدث معه وهو يظن أن خالداً يقتلـه ، فقـال: يـا ابن المغيرة إن لي إسلاماً والله مـا كفـرت . فقـال خالـد: إن بين القتل والترك منـزلة وهي الحبس ، حتى يقضـي اللـه في أمرنا ما هو قـاض ، ودفعـه إلى أم متمم زوجتـه ، وأمرهـا أن تحسن إساره ، فظن مجَّاعة أن خالداً يريد حبسه ليخـبره عن عدوه ، وقال: يا خالد قد علمتَ أني قـدمت على رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم فبايعته على الإسلام وأنا اليـوم على مـا كنت عليه بالأمس ، فـإن يـكُ كـذاب قـد خـرج فينـا فـإن اللـه يقول: { **ولا تزر وازرة وزر أُخرى** } [الأنعام /164] . فقال : يا مجَّاعة ، تركت اليوم ما كنت عليه أمس ، وكـان رضـاك بـأمر هذا الكذاب وسكوتك عنه ـ وأنت من أعز أهل اليمامة ـ إقراراً له ورضاء بما جاء به ، فهل أبديت عُذراً فتكلَّمت فيمن تكلَّم ؟ فقـد تكلَّم ثمامـة فـرد وأنكـر ، وتكلَّم اليشـكري ، فـإن قلت أخاف قومي فهلا عمدت إلي أو بعثت إلي رسولاً ؟

فتأمل كيف جعل خالـد سـكوت مجَّاعـة رضـى بمـا جـاء بـه مسيلمه وإقراراً[68] ، فأين هذا ممن أظهر الرضا وظاهر وأعان وجـدَّ وشـمَّر مـع أولئـك الـذين أشـركوا مـع اللـه في عبادتـه وأفسدوا في أرضه ؟ فالله المستعان)[69]

[68] تأمل ذلك ، فكيف بمن جلس مع الطاغوت ، وأظهر الرضى وسكت عن قول الحق ، بل دافع عن الطاغوت ، فتأمل ذلك يا طالب الحق تعرف الواقع المُرّ الذي نعيشه اليوم ، فكيف بمن يحضر مؤتمرات الطواغيت ويُقال إنه عالم .
[69] مجموعة الرسائل والمسائل النجدية 4 / 292 , 293 .

الفصل الثالث : البراءة من المشركين وتكفيرهم

لا يستقيم الإسلام إلاَّ بموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه :

ـ **قال** الشيخ محمد بن عبد الطيف بن عبد الرحمن رحم الله الجميع : (وقد قال تعالى : { **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلاَّ تفعلوه تكن فتنةٌ في الأرض وفساد كبير** } [الأنفال / 73] قال بعض العلماء الفضلاء : الفتنة في الأرض الشرك ، والفساد الكبير اختلاط المسلم بالكافر[70] ، والمُطيع بالعاصي ، فعند ذلك يختل نظام الإسلام وتضمحل حقيقة التوحيد ، ويحصل من الشر ما الله به عليم . فلا يستقيم الإسلام ، ويقوم قائم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويرتفع علم الجهاد ، إلاَّ بالحب في الله والبغض فيه ، وموالاة أوليائه ، ومعاداة أعدائه ، والآيات الدالة على ذلك ، أكثر من أن تُحصر . وأما الأحاديث ، فأشهر من أن تُذكر ، فمنها : حديث البراء بن عازب ، رضي الله عنه ، مرفوعاً ((أوثق عُرى الإيمان : الحب في الله ، والبغض فيه)) وعن أبي ذر رضي الله عنه ، أفضل الإيمان : الحب في الله والبغض فيه ؛ وفي حديث مرفوع ((اللهم لا تجعل لفاجر عندي يداً ، ولا نعمة فيودّه قلبي ، فإني وجدت فيما أوحيته إليَّ { **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله** } [المجادلة / 22])) . وفي (الصحيحين) ، عن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، مرفوعاً ((المرء مع من أحب)) وقال صلى الله عليه وسلم : ((المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخالل)) وعن أبي مسعود البدري ، رضي الله عنه مرفوعاً : ((لا تصاحب إلاَّ مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلاَّ تقي)) وعن علي رضي الله عنه ، مرفوعاً ((لا يحب رجل قوماً إلاَّ حُشِر معهم)) وقال صلى الله عليه وسلم : ((تقربوا إلى الله ببغض أهل المعاصي ، والقوهم بوجوه مُكفهرّة ، والتمسوا رضا الله بسخطهم ، وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم

[70] فكيف بمن يأتي بالكفرة إلى جزيرة العرب ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يجتمع في جزيرة العرب دينان ، فكيف بمن يستقدم المجوسي والبوذي والنصرابي واليهودي ، من عمال وخدم وسائقين ، نعوذ بالله من ذلك ، فتأمل قوله ، جعله من الفساد وهذا كله محرم ولا يجوز ، ومخالفة صريحة لحديث النبي صلى الله عليه وسلم .

)) وقـال عيسـى عليـه السـلام : تحببـوا إلى اللـه ببغض أهـل المعاصي[71] ، وتقرَّبوا إلى الله بالبعد عنهم ، واطلبوا رضا اللـه بسخطهم . وعن أبن عباس رضي الله عنهمـا قـال : من أحب في الله ، وأبغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله ، فإنما تُنال ولاية الله بذلك[72] ، ولن يجد عبد طعم الإيمان ، ولو كثرت صلاته وصومه ، حتى يكـون كـذلك ، يعـني حـتى تكـون محبته وموالاته لله ، وبغضه ومعاداته لله ؛ قال رضي الله عنه : وقد صارت عامة مؤاخاة الناس ، على أمـر الـدنيا ، وذلـك لا يجدي على أهله شيئا . فـإذا كـان هـذا كلام ابن عبـاس ، وهـو في خـير القـرون ، فمـا زاد الأمـر بعـده إلاَّ شـدة ، وبعـداً عن الخير ، كما قال صلى الله عليه وسلم : ((لا يـأتي على النـاس زمان ، إلاَّ والذي بعده شرٌ منه)) بل كانت موالاة الناس اليوم ، ومحبتهم ، ومعاشرتهم ، على الكفـر والشـرك والمعاصـي ؛ فليحــذر العبــد كــل الحــذر من الانهمــاك مــع أعــداء اللــه ، والانبســاط معهم ، وعــدم الغلظــة عليهم ، أو أن يتخــذهم بُطناء[73] وأصحاب ولآيات ، ويستنصح منهم ، فإن ذلـك مـوجب لسخط الله ومقته . قال القرطبي رحمه الله في تفسيره عند قوله تعالى : { **لا تتخذوا بطانة من دونكم** } [أل عمــران / 118] نهى اللـه عبـاده المؤمـنين ، أن يتخـذوا من الكفـار واليهـود ، وأهل الأهواء والبدع ، أصحاباً وأصدقاء ، يفاوضونهم في الرأي ، ويســندون إليهم أمــورهم ؛ وعن الرُبيــع { **لا تتخــذوا بطانة** } لا تســتدخلوا المنــافقين ، ولا تتولــوهم من دون المؤمـنين ؛ ويُقـال : كـل من كـان على خلاف مـذهبك[74] ، لا ينبغي لك أن تُخادنه ، وتُعاشره وتركن إليه)[75] .

[71] هذا في حق العصاة المجاهرين فكيف بالطُغاة والمرتدين .

[72] قلَّ من يرفع بالحب والبغض (الهجر) رأساً ويفتخر به ، منذ عهد قريب قبل تقريباً 50 سنة كان الذي يأتي من الكويت يهجر ولا يُسلم عليه ، واليوم يُفتخر بمن يذهب إلى دول أوروبا ويهشون في وجهه ، فنعوذ بالله من انتكاس القلوب .

[73] روى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : ((قلت لعمر رضي الله عنه : لي كاتب نصراني ، قال : ما لك قاتلك الله أما سمعت الله يقول : { **يا أيها الذين أمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض** } [المائدة / 51] ؟ ألاَّ اتخذت حنيفاً ؟ قال : قال يا أمير المؤمنين ، لي كتابه وله دينه ! قال لا أكرمهم إذ أهانهم الله ، ولا أعزهم إذ أذلهم الله ولا أدنيهم وقد أقصاهم الله)) . لله درُك يا عمر ، وما أحسن شدتك على من خالف أمر الله ، فتأمل ذلك وتأمل عصرنا ، إذ لو أنكرت بشدة عمر لقام عليك دعاة العصر وعلماؤهم ، وقالوا أين الحكمة وأين المصلحة ، فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله .

[74] الخوف من مخالطة أهل الفسق وأهل البدع والأهواء لأنها تؤثر على المؤمن .

[75] الدرر السنية 8 / 447 _ 450 .

ـ **وقال** الشيخ عبد الله بن محمد بن عبـد الوهـاب رحمهمـا الله تعالى : (ولكن تأمل أرشدك اللـه تعـالى قولـه ــ أي ابن القيم ـ : وما نجا من شـرك هـذا الشـرك الأكـبر إلاَّ من عـادى المشركين لله إلى آخره يتـبين لـك أن الإسـلام لا يسـتقيم إلاّ بمعاداة أهل هذا الشرك ، فـإن لم يعـادهم فهـو منهم وإن لم يفعله ، والله أعلم)[76].

مودّة الكافر :

ـ **تحدث** الشيخ عبد الرحمن بن حسن عن نـواقض التوحيـد ومبطلاتـه ، فقـال رحمـه اللـه : (**الأمـر الثـاني من النواقض** : إنشراح الصـدر لمن أشـرك باللـه ومـوادَّة أعـداء الله ، كما قال تعـالى : { **ولكن من شرح بـالكفر صـدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذابٌ عظيم**} الآية [النحـل / 106] ، إلى قوله : {**وأن الله لا يهدي القوم الكافرين** } [النحـل / 107] ، فمن فعل ذلـك فقـد أبطـل توحيـده ولـو لم يفعـل الشرك بنفسه ، قال الله تعالى : { **لا تجـد قومـاً يؤمنـون بالله واليوم الآخر يوادّون من حـاد اللـه ورسـوله** } الآية [المجادلة / 22] . قال شيخ الإسلام : أخبر سبحانه أنـه لا يوجـد مؤمن يوادّ كافرا ، فمن وادّه فليس بمؤمن ، قال: والمشـابهة مظنة الموادة فتكون مُحرمه .

موقف الصحابة مع واقعهم :

ـ **ثم قال** رحمه الله (قال العمـاد ابن كثـير في تفسـيره : قيـل نـزلت في أبي عبيـده حين قتـل أبـاه يـوم بـدر ، { **أو أبنائهم**} ، في الصديق يومئذٍ همَّ بقتل ابنه عبـد الـرحمن .{ **أو إخوانهم**} ، في مصعب بن عُمير قتل أخاه عُبيد بن عُمير ، { **أو عشيرتهم** } في عمـر قتـل قريبـاً لـه يومئـذٍ أيضـاً ، وحمزة وعلي وعُبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذٍ . قال : وفي قوله {**رضـي اللـه عنهم ورضـوا عنه**} [المائدة / 119] سرٌّ بديع وهو أنهم لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله ، عوضهم[77] الله بالرضا عنهم ورضاهم عنــه

[76] عقيدة الموحدين رسالة (الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة) ص 267 .
[77] تأمل تطبيق الصحابة لهذا الدين على واقعهم ، ولم تأخذهم في الله لومة لائم .

بمـا أعطـاهم من النعيم المُقيم ، والفـوز العظيم ، والفضـل العميم ، ونـــوَّه بفلاحهم وســعادتهم ونصـــرتهم في الـــدنيا والآخــرة ، في مقابلــة مــا ذُكــر عن أولئــك من أنهم حــزب الشـيطان { **ألا إن حـزب الشـيطان هم الخاسـرون** } [المجادلة / 19] .

الأمر الثالث : موالاة المشرك ، والركون إليه ، ونصـرته ، وإعانته باليد ، أو اللسان ، أو المال ، كما قـال تعـالى : { **فلا تكونَنَّ ظهيراً للكافرين** } [القصــص / 86] وقـال : { **ربِّ بمـا أنعمت عليَّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين** } [القصـص / 17] ، وقـال : { **إنمـا ينهـاكم الله عن الـذين قـاتلوكم في الـــدين وأخرجـــوكم من ديـــاركم وظـــاهروا على إخـــراجكم أن تولـــوهم ومن يتـــولّهم فأولئـــك هم الظـالمون** } [الممتحنـــة / 9] ، وهــذا خطــاب من اللــه تعـالى للمؤمنين في هذه الأمة ، فأنظر أيُها السامع أين تقع من هــذا الخطاب وحكم هذه الآيات)[78] .

لا يحصــــل الــــدخول في الإســــلام إلاَّ ببغض المشركين ومعاداتهم وتكفيرهم :

ـ **قال** الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه اللـه : (وأنت يـا من منَّ الله عليه بالإسلام ، وعرف أن ما من إلـه إلاَّ اللـه ؛ لا تظن أنك إذا قلت هذا هو الحق ، وأنا تارك مـا سِـواه ، لكن لا أتعرض للمشركين ، ولا أقول فيهم شيئاً[79] ، لا تظن : أن ذلك يحصل لك به الدخول في الإسـلام ، بـل : لا بُـدَّ من بُغضِـهم ، وبغض من يحبهم ، ومسبتهم ، ومعـاداتهم[80] ، كمـا قـال أبـوك إبراهيم ، والذين معه : { **إنَّا بُرءاؤا منكم وممـا تعبـدون من دون اللـه كفرنـا بكم وبـدا بيننـا وبينكم العـداوة**

[78] مجموعة الرسائل والمسائل النجدية 4 / 290 , 291 .

[79] بل يجب عداوة الطواغيت والمشركين ، والكفر بهم وسبهم وبغضهم وبغض من يحبهم ، وتجد تطبيق هذا الأصل العظيم صعباً على النفوس ولا يوفق إلى ذلك إلاَّ من وفقه الله وأراد به خيراً ، ورزقه بصيرة ، فادعوا الله أن يجعلك من هؤلاء .

[80] جعل الشيخ الذي لا يتعرض المشركين ولا يقول فيهم شيئاً أنه ليس مسلماً ، وتأمل واقعنا تجد الخلل والانحراف عن التوحيد ظاهراً جلياً ، ومن ذلك الشباب الذين يتخرجون مدرسين في هذه المدارس التي في مناهجها من الضلال والانحراف بل ومدح الطواغيت ومدح هيئة الأمم الطاغوتية وغير ذلك من الشر الكثير ما الله به عليم ، ويذهب كثير من المدرسين إلى المنطقة الشرقية التي يكثر فيها الرافضة المشركين ، ثم يدرسون الروافض ويضحكون في وجوههم ! أين البراءة من هؤلاء يا شباب الإسلام ، أين إظهار العداوة ومسبتهم أين الكفر بهم ، وهناك عكس هذا الحال معلمين كفرة وعلمانيين وزنادقة يتضح أمرهم لكثير من الطلاب فيجلسون أمامهم ويضحكون في وجوههم ، أين... أين... ، كل هذا من أجل الدنيا ، يُهدم الولاء والبراء من أجل الدنيا ، أين قول أبونا إبراهيم { **كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده** } ، وهذه ملّة إبراهيم التي من رغب عنها فقد سفه نفسه .

والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده } [الممتحنة / 4] وقال تعالى :
{ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى } [البقرة / 256] وقال تعالى : { ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت } [النحل / 36] . ولو يقول رجل : أنا أتبع النبي صلى الله عليه وسلم وهو على الحق ، لكن : لا أتعرض اللاَّت ، والعُزى ، ولا أتعرض أبا جهل ، وأمثاله ، ما عليَّ منهم[81] ؛ لم يصح إسلامه)[82] .

ـ **وقال** الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله : (وأجمع العلماء سلفاً وخلفاً ؛ من الصحابة والتابعين ، والأئمة ، وجميع أهل السنة : أن المرء لا يكون مسلماً إلاَّ بالتجرُّد من الشرك الأكبر ، والبراءة منه وممن فعله[83] ، وبُغضهم ومُعاداتهم بحسب الطاقة ، والقدرة ، وإخلاص الأعمال كلها لله)[84] .

ـ **وقال** حسين وعبد الله أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعاً : (**المسألة الحادية عشرة** : رجل دخل هذا الدين وأحبه ، ولكن لا يُعادي المشركين ، أو عاداهم ولم يُكفرهم ، أو قال : أنا مُسلم ولكن لا أقدر أن أُكفر أهل لا إله إلاَّ الله ولو لم يعرفوا معناها ، ورجل دخل هذا الدين وأحبه ، ولكن يقول لا أتعرض للقباب ، وأعلم أنها لا تضر ولا تنفع ولكن ما أتعرضها . **الجواب** : أن الرجل لا يكون مسلماً إلاَّ إذا عرف التوحيد ودان به ، وعمل بموجبه ، وصدّق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به ، وأطاعه فيما نهى عنه وأمر به ، وآمن به وبما جاء به .

فمن قال لا أعادي المشركين ، أو عاداهم ولم يُكفرهم[85] ، أو قال لا أتعرض أهل لا إله إلاَّ الله ولو فعلوا الكفر والشرك وعادوا دين الله ، أو قال لا أتعرض للقباب ، فهذا لا يكون مسلماً بل هو ممن قال الله فيهم : { **ويقولون نؤمن**

[81] فكيف بمن يقول أنا لا أتعرض لطواغيت العصر ما عليّ منهم .
[82] الدرر السنية 2 / 109 .
[83] بإجماع السلف والخلف أن المرء لا يكون مسلماً إلاَّ بالتجرد من الشرك الأكبر والبراءة منه وممن فعله ، أي من أهل الشرك وأهل الكفر تتبرأ منهم وتعاديهم وتبغضهم .
[84] الدرر السنية 11 / 545 .
[85] تأمل ذلك يا أخا التوحيد ، لتعرف ضلال وفساد مرجئة العصر ، الذين يهونون تكفير المشركين والطواغيت .

ببعض ونكفُـرُ ببعض ويُريـدون أن يتخـذوا بين ذلـك سـبيلاً أولئـك هم الكـافِرون حقـاً } [النســاء / 150] . واللـه سبحانه وتعالى أوجب مُعاداة المشركين ومنابذتهم وتكفـيرهم فقال { **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يـوآدُّن من حاد الله ورسوله** } الآية [المجادلة / 22] ، وقال تعالى : { **يا أيُهـا الـذين آمنـوا لا تتخـذوا عـدوي وعـدوكم أوليـاء تلقـون إليهم بـالمودة وقـد كفـروا بمـا جـاءكم من الحــق يُخرجــون الرســول وإيــاكم** } الآيــات ، واللــه أعلم)[86] .

ـ **قال** الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه اللـه : (... قـال الله تعـالى : {**ترى كثـيراً منهم يتولـون الـذين كفـروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سـخط اللـه عليهم وفي العـذاب هم خالـدون ولـو كـانوا يؤمنـون باللـه والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثـيراً منهم فاسقون** } [المائدة / 80 , 81] .

وقال تعالى : { **يا أيها الذين آمنـوا لا تتخـذوا اليهـود والنصارى أوليـاء بعضـهم أوليـاء بعض ومن يتـولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظــالمين** } إلى قولـه : { **يا أيهـا الـذين آمنـوا من يرتـد منكم عن دينه فسوف يـأتي اللـه بقـوم يحبهم ويحبونـه أذلـة على المؤمـنين أعـزة على الكـافرين يجاهـدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم** } [المائدة / 51 ـ 54] .

وقال تعالى : { **بشر المنافقين بأن لهم عـذاباً أليمـا الذين يتخذون الكافرين أوليـاء من دون المؤمـنين** } [النســاء / 138 , 139] .وقـال تعـالى : { **من كفر باللـه من بعـد إيمانه إلاَّ من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمـان ولكن من شــرح بــالكفر صــدراً فعليهم غضــبٌ من اللــه ولهم عذابٌ عظيم ذلك بأنهم اسـتحبوا الحيـاة الـدُنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين** } [النحل / 106 , 107]

[86] مجموعة الرسائل والمسائل النجدية 1 / 38 , 39 .

هـذا حكم اللـه تعـالى في هـذا الصـنف ، حكم بـردتهم في مواضع كثيرة من كتابه)[87] .

ـ **وقال** الشيخ عبد الرحمن بن حسـن : (فالحُنفـاء أهـل التوحيد اعتزلوا هؤلاء المشـركين ، لأن اللـه أوجب على أهـل التوحيـد اعـتزالهم[88] ، وتكفـيرهم ، والـبراءة منهم ، كمـا قـال تعــالى

عن خليله إبراهيم عليه السلام : { **واعتزلكم ومـا تـدعون من دون الله وادعوا ربي عسى ألاَّ أكون بــدعاء ربي شقيا** } إلى قوله :{ **فلمـا اعـتزلهم[89]ومـا يعبـدون من دون الله** } [مريم / 48 , 49] . وقال { **إنا بُرءاؤا منكم وممـا تعبـدون من دون اللـه كفرنـا بكم وبـدا بيننـا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده** } [الممتحنــة / 4] . وقال عن أهـل الكهـف : { **وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلاَّ الله فأؤو إلى الكهف** } الآية [الكهـف / 16] .

فلا يتم لأهـل التوحيـد توحيـدهم ، إلاَّ بـاعتزال أهـل الشـرك ، وعداوتهم وتكفيرهم ، فهم معتزلة بهذا الاعتبار ، لأنهم اعتزلوا أهـل الشـرك ، كمـا اعـتزلهم الخليـل إبـراهيم عليـه الصـلاة والسلام)[90]

ـ **وقد** عدَّ بعض علماء نجد ثلاثة أمور كل واحد منهـا يـوجب الجهاد لمن أتصف بها ، منها عدم تكفير المشركين ، أو الشك في كفرهم ، فإن ذلـك من نـواقض الإسـلام ومبطلاتـه ، فمن اتصف به فقد كفر ، وحلَّ دمه وماله ، ووجب قتاله حتى يُكفر المُشـركين ...فـإن الـذي لا يُكفـر المشـركين ، غـير مُصـدق بالقران ، فإن القران قـد كفَّر المشـركين ، وأمـر بتكفـيرهم ، وعداوتهم وقتالهم)[91] .

ـ **وقال** الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، في أنواع المخالفين لكلمة التوحيد ممن نطقوا بها : (ومن الناس من عبد الله وحده ، ولم ينكر الشرك ، ولم يُعاد أهله . ومنهم

[87] الدرر السنية 8 / 288 , 289 .
[88] اعتزال الطواغيت عدم مخالطتهم ، وعدم تكثير سوادهم ، وعدم طاعتهم في المعصية ، ومفارقتهم والبراءة منهم .
[89] لاحظ وتأمل في الآيتين أنه قدم اعتزالهم قبل أصنامهم ومعبوداتهم فأنتبه لذلك جيداً .
[90] الدرر السنية 11 / 434 .
[91] الدرر السنية 9 / 291 .

: من عاداهم ، ولم يُكفرهم ...ومنهم : ـ وهو من أشد الأنــواع خطراً ـ من عمل بالتوحيد ، لكن لم يعـرف قـدره ، ولم يبغض من تركه ، ولم يكفرهم[92] . ومنهم : من ترك الشرك ، وكرهـه ، ولم يعرف قدره ، ولم يعاد أهله ، ولم يُكفرهم ؛ وهؤلاء : قد خالفوا ما جاءت بـه الأنبيـاء ، من دين اللـه سـبحانه وتعـالى ، والله أعلم)[93] .

ـ **وقال** الإمام أبن عقيل رحمه الله : (إذا أردت أن تعرف محل الإسلام من أهـل الزمـان ، فلا تنظـر إلى ازدحـامهم في أبـواب المسـاجد ، ولا إلى ضـجيجهم بِلبيـك ، ولكن أنظـر إلى مواطأتهم لأعداء الشريعة)[94] .

* * * * *

[92] تأمل ذلك يا أخا التوحيد .
[93] الدرر السنية 2 / 22 .
[94] الدرر السنية 8 / 299 , 300 .

الباب الثالث : التكفير وأحكامه

مــتى يكــون التلفــظ بالشــهادتين مانعــاً من التكفير ؟

ـ **قال** الشـيخ عبـد اللطيـف بن عبـد الـرحمن رحمهمـا اللـه تعالى : (وقـد غلـط كثـيرٌ من المُشـركين في هـذه الأعصـار ، وظنوا أن من كفَّر من تلفظ بالشهادتين ، فهو من الخـوارج[95] ، وليس كذلك ، بل التلفظ بالشهادتين لا يكون مانعاً من التكفـير إلاَّ لمن عرف معناهما ، وعمل بِمقتضاهما ، وأخلص العبادة لله ، ولم يشرك به سواه ، فهذا تنفعه الشهادتان)[96] .

الحكم بمقتضى الظاهر :

ـ **قال** الشـيخ عبـد اللطيـف بن عبـد الـرحمن رحمهمـا اللـه تعالى : (وأهل العلم والإيمان لا يختلفون في أن من صدر منه : قول ، أو فعل يقتضي كُفره ، أو شركه ، أو فسقه ، أنه يُحكم عليـه بمقتضـى ذلك[97] وإن كـان ممن يُقـرّ بالشـهادتين ويـأتي ببعض الأركان . وإنما يُكـف عن الكـافر الأصـلي إذا أتى بهمـا ، ولم يتبين منه خلافهمـا ومناقضـتهما وهـذا لا يخفى على صِـغار الطلبة ، وقد ذكروه في المُختصرات من كُـل مـذهب وهـو في مواضع من كتاب الروض)[98] .

إلصاق تهمة التكفير للموحِدين :

ـ **قال** الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله (فصــار من هـؤلاء المشـركين من يُكفـر أهـل التوحيـد ، بمحض الإخلاص والتجريد، وإنكارهم على أهل الشرك والتنديد ، فلهـذا قـالوا : أنتم خوارج ، أنتم مبتدعة[99]، كمـا أشـار العلاَّمـة أبن القيم إلى مثل هذه الحال في زمانه بقوله :

من لي بشـبه خوارج قد كفـروا   بالذنـب تأويـلاً بلا حسـبان

[95] وهذا وقع فيه أصحاب الإرجاء الخبيث في هذا العصر ، كلَّما قال أحدٌ من أهل التوحيد : إن فلاناً كافر لأنه فعل الكفر أو قال الكفر ، قاموا عليه يُؤنبونه ويقولون هذا فكر الخوارج ، فأنتبه إلى ذلك يا طالب الحق ، تعرف تلبيس مرجئة العصر ، لأن من منهج الخوارج التكفير بالكبيرة .

[96] الدرر السنية 12 / 263 .

[97] تأمل ذلك تعرف ضلال وفساد منهج مرجئة العصر .

[98] مجموعة الرسائل والمسائل 3 / 225 .

[99] كما يفعله مرجئة العصر بأهل التوحيد اليوم أنهم خوارج وضالين وغيرها من التُهم .

ولهم نصـوص قصروا في فهمـها فأتـوا من التقصـير في العرفان

وخصـومُنا قد كفرونـا بالـذي هو غـاية التوحـيد والإيمـان

وهذا الرجل قد أخذ بطريقة من يُكفر بتجريد التوحيـد ، فـإذا قُلنا : لا يُعبـد إلاَّ اللـه ولا يُـدعى إلاَّ هـو ، ولا يُـرجى سـواه ولا يُتوكل إلاَّ عليه ، ونحو ذلك من أنواع العبادة الـتي لا تصـلُح إلاَّ لله ، وأن من توجـه بهـا لغـير اللـه فهـو كـافر مشـرك ، قـال ابتدعتم وكفرتم أمة مُحمد ، أنتم خوارج ، أنتم مبتدعه)[100] .

* * * * *

[100] الدرر السنية 11 / 448 , 449 .

الفصل الأول : الـردّة

تعريف الردّة وذكر بعض صورها :

ـ **قال** الإمـام محمـد بن عبـد الوهـاب رحمـه اللـه تعـالى : (بسم الله الرحمن الرحيم : بـاب حكم المرتـد ، الـذي يكفـر بعد إسلامه ، نطقاً أو شكاً أو اعتقاداً أو فعلاً ، ولو ممـيزاً ، أو كان هازلاً ، لقوله تعـالى : { **أبالله وآياتـه ورسـوله كنتم تستهزءون** } [التوبـة / 65] . فمن أشرك باللـه تعـالى كفـر بعـد إسلامه ، ولو مكرهاً بحق كفـر ، أو جحـد ربوبيتـه أو وحدانيتـه كفر ، أو جحد صفة من صفاته ، أو ادعى النبوة ، أو صدّق من ادعاها بعد النبي صلى اللـه عليـه وسـلم ، أو اسـتهزأ باللـه أو رسله ، أو هزل بشيء فيه ذكـر اللـه تعـالى . أو كـان مُبغضـاً لرسوله صلى الله عليه وسلم ، أو لما جاء به الرسـول اتفاقـاً كفر ؛ أو جعل بينه وبين الله وسائط ، يتوكل عليهم ويــدعوهم ويسألهم كفر إجماعاً ، لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام ، قائلين : { **ما نعبدهم إلاَّ ليقربونا إلى الله زلفى** } [الزمر / 3] . أو سجد لصنم أو شمس أو قمر ، أو أتى بقول أو فعل صــريح في الاستهزاء بالدين الـذي شـرعه اللـه تعـالى ، أو وُجِـد منـه امتهان القـران ، أو أنكـر الإسـلام كفـر ، لأن الـدين عنـد اللـه الإسلام ، أو سحر أو أتى عرافاً فصدقه ، أو جحد البعث كفر . أو أتى بقــول يخرجــه عن الإســلام[101] ، مثــل أن يقــول : هــو يهــودي أو نصــراني أو مجوســي أو بــريء من الإســلام أو القرآن ، أو النبي صلى الله عليه وسلم أو يعبد الصليب ، وقـد عمت البلـوى بهـذه الفـرق ، وأفسـدوا كثـيراً من عقائـد أهـل التوحيد ، نسأل الله العفـو والعافيـة . أقـول : يتأمـل المسـلم الذي قصده إتباع أمر الله ورسوله ، ما ذكره هـؤلاء العلمـاء ، وحكوا عليه إجماع المـذاهب كلهـا ، في أنـاس يشـهدون أن لا إله إلاَّ الله ، ويصلون ويصومون وأهل عبادة ، لكنهم يعتقــدون في بعض الأوليــاء ، مثــل عبــد القــادر ، ومعــروف الكُــرخي وغيرهمـا ، ويتعلقـون عليهم ، يقولـون : لهم جـاه عنـد اللـه ، كيف حكى العلماء إجمـاع المـذاهب ، على أن من فعـل ذلـك فهو كافر ، ولو كان زاهداً ـ هذا الذي أنا طالب منهم ـ وأعظم

[101] ولم يستثن الشيخ الجاهل .

من أن الرافضي إذا سبَّ الشيخين ، فقد توقف الإمـام أحمـد في تكفيره . وأما إذا أعتقد في علي أو الحُسـين فهـو كـافر ، مع كونه يشـهد أن لا إلـه إلاَّ اللـه ، أتظنـون أن هـذا في قـومٍ مضوا ؟ أتقولون الصحابة أراهم يُكفرّون أهل الإسـلام ؟[102] أمْ تظنون أن الـذين يعتقـدون في علي لا يشـهدون أن لا إلـه إلاَّ الله ؟ . فرحم الله امـرءاً نصـح نفسـه ، ونصـر اللـه ورسـوله ودينه ، ولم تأخذه في اللهِ لومة لآئم ، والله أعلم)[103] .

ـ **وقال** الشيخ عبد اللطيف بن عبـد الـرحمن رحمهمـا اللـه تعالى : (قال شيخ الإسلام في اختياراته ، من جمز ـ أي ذهب ـ إلى مُعسكر التتار ، ولحق بهم ، أرتد وحلّ دمه وماله)[104].

الردّة تُحبط الأعمال إجماعـاً إذا مـات صـاحبها عليها :

ـ **قال** الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمهما الله تعـالى في بيان أن الردّة تُحبط الأعمال الصالحة : (فقـد ذكـر الفقهـاء ، في حكم المرتد : أن الرجل قد يكفـر بقـول يقولـه ، أو عمـل يعمله ، وإن كان يشهد أن لا إله إلاَّ اللـه ، وأن محمـداً رسـول الله ويصلي ، ويصوم ، ويتصدق ، فيكون مرتداً تحبـط أعمالـه ما قال أو فعل ، خصوصاً إن مات على ذلـك ، فيكـون حبـوط أعمالـه إجماعـاً ، بخلاف مـا إذا تـاب قبـل المـوت ، ففيـه الخلاف)[105] .

* * * * *

[102] رد علي المرجئة .
[103] الدرر السنية 10 / 88 _ 90 .
[104] الدرر السنية 8 / 338 .
[105] الدرر السنية 11 / 586 .

الفصل الثاني : الحكم بغير ما أنزل الله

لا شك أن تنحية شرع الله وعدم التحاكم إليه في شؤون الحياة من أخطر وأبرز مظاهر الانحراف في مجتمعات المسلمين ، ولقد كان عواقب الحكم بغير ما أنزل الله في بلاد المسلمين ما حلَّ بهم من أنواع الفساد وصنوف الظلم والذل والمحق .

فرض الله تعالى الحكم بشريعته وأوجب ذلك على عباده ، وجعله الغاية من تنزيل الكتاب ، فقال سبحانه : { **وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه** } [البقرة / 213] . وقال تعالى : { **إنَّا أنزلنا الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله** } [النساء / 105] . وبيَّن سبحانه اختصاصه وتفردّه بالحكم فقال : { **إن الحكم إلاَّ لله يقص الحق وهو خير الفاصلين** }[الأنعام / 57] . وقال سبحانه : { **إن الحكم إلاَّ لله أمر ألاَّ تعبدوا إلاَّ إياه** } [يوسف / 40] . وقال عزَّ وجلَّ : { **له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون** } [القصص / 70] . وقال سبحانه : { **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله** } [الشورى / 42] . وقد سمى الله الذين يحكمون بغير شرعه ، كُفاراً ، وظالمين ، وفاسقين . قال سبحانه : { **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** } [المائدة / 44] . وقال سبحانه : { **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** } [المائدة / 45] . وقال سبحانه : { **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** } [المائدة / 47] .

ويكـون الحكم بغـير مـا أنـزل اللـه كُفـراً نـاقلاً عن الملّـة في عـدة صـور وحـالات ، نـذكر بعضـها على النحو التالي :

1 _ من شرع غير ما أنزل الله تعالى[106] : وقد تقـرر بداهـةً وجوب إفراد الله تعالى بالحكم والتشـريع ، { **ألا لـه الخلـق والأمـر تبـارك اللـه رب العـالمين** } [الأعــراف / 54] . فهــو سبحانه وحده المتفرد بالتشريع والتحليل والتحريم ، فالدين لا يكون إلاَّ ما شرعهُ الله تعالى ، وليس لأحد أن يُشرع شـيئاً مـا جاء عن الله تعالى ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم .

فالتشريع حقٌ خالص لله وحده لا شريك له ، من نازعــه في شيء منه فهوا كافر مشرك لقوله تعــالى { **أم لهم شُركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله** } [الشورى / 21] . وقال عزَّ وجلَّ : { **اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مـريم ومـا أُمِـروا إلاَّ ليعبـدوا إلهاً واحداً لا إله إلاَّ هو سبحانه عمَّا يُشـركون** } [التوبــة / 31] . فهؤلاء الأحبار والرهبان الذين شـرعوا غـير تشـريع اللـه تعالى كفار لا شك في كفـرهم ، لأنهم نـازعوا اللـه تعـالى في ربوبيته وبدَّلوا دين الله وشرعه[107] .

وإذا كانت متابعة أحكام المشرِّعين غير ما شرعه الله تعتـبر شركاً ، وقد حكم اللـه على هـؤلاء الأتبـاع بالشـرك كمـا قـال ســـبحانه : { **وإن أطعتمـــوهم إنكم لمشـــركون** } [الأنعام / 121] [108] . فكيف بحال هؤلاء المشرعين ؟

إن طواغيت البشر قـديماً وحـديثاً قـد نـازعوا اللـه في حـق الأمر والنهي والتشريع بغير سلطان من اللـه تعـالى ، فادعـاه الأحبار والرهبان لأنفسهم فأحلّوا به الحرام وحرَّموا بـه الحلال واسـتطالوا بـه على عبـاد اللـه وصـاروا بـذلك أربابـاً من دون اللــه ، ثم نــازعهم المُلـوك في هــذا الحــق حــتى اقتســموا السـلطة مـع هـؤلاء الأحبـار والرهبـان ، ثم جـاء العلمـانيون فنزعوا الحق من هؤلاء وهؤلاء ونقلـوه إلى هيئـة تمثـل الأمــة

[106] والتشريع هو إلزام المسلمين بقانون أو نظام أو قرار أو شرع أو مرسوم ، بشرط أنه مخالف للشريعة وتغيير الأسماء لايغير الحقائق .
[107] أنظر الشريعة الإلهية ص 179 _ 182 .
[108] أنظر تفسير ابن كثير 2 / 163 فتاوى ابن تيميه 7 / 70 أضواء البيان للشنقيطي 3 / 440 .

أو الشعب أُطلق عليها أســم البرلمـان أو مجـــلس النواب[109].

2 _ أن يجحد الحاكم بغـير مـا أنـزل اللـه أحقيـة حكم اللـه ورسوله ـ يعني ينكر ـ وهـو معـنى مـا رُوي عن أبن عبـاس ، وأختاره أبن جرير ، أن ذلك هو جحود ما أنزل اللــه من الحكم الشرعي ، وهذا ما لا نـزاع فيـه بين أهـل العلم فـإن الأصـول المتقرره المتفق عليهـا بينهم ، أن من جحـد أصـلاً من أصـول الـدين ، أو فرعـاً مجمعـاً عليـه ، أو أنكـر حرفـاً ممـا جـاء بـه الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم قطعيـاً ، فإنـه كـافر الكفـر الناقل عن الملّة [110] .

3 _ أن لا يجحد الحاكم بغير ما أنـزل اللـه كـون حكم اللـه ورسوله حقـاً ، لكن اعتقـد أن حكم غـير الرسـول صـلى اللـه عليه وسلم أحسـن من حكمـه وأتم وأشـمل ... وهـذا أيضـاً لا ريب أنه كُفر .

4 _ أن لا يعتقد كونه أحسن من حكم اللـه ورسـوله ، لكن اعتقد أنه مثله ، فهذا كالنوعين اللذين قبله ، في كونه كافراً الكفر الناقل عن الملّة .

5 _ اعتقد جواز الحكم بما يُخالف حكم الله ورسوله : فهذا كالذي قبله .

6 _ وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ، ومشاقة لله ورسوله ومظاهاة بالمحاكم الشرعية ، إعـداداً وإمـداداً وإرصـاداً ، وتأصـيلاً وتفريعـاً وتشـكيلاً وتنويعـاً وحكمــاً وإلزامــاً ، ومراجــع ومســتندات ، فكمــا أن للمحــاكم الشـرعية مراجـع مسـتمدات ، مرجعهـا كلهـا إلى كتـاب اللـه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلهذه المحاكم مراجـع ، هي القــانون المُلفــق من شـــرائع شــتى وقــوانين كثــيرة ، كالقانون الفرنسـي والقـانون الأمـريكي والقـانون البريطـاني وغيرها من القوانين ، ومن مذاهب بعض البِـدعيين المنتسـبين إلى الشريعة ، وغير ذلك .

[109] (نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة الوضعية) لصلاح الصاوي ص 19 , 20 .
[110] أنظر إلى رسالة تحكيم القوانين للشيخ ابن إبراهيم ص 6 . فإنه متبصراً بهذه المسألة .

فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكملة ، مفتوحة الأبواب ، والناس إليها أسـراب إثـر أسـراب ، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنَّة والكتاب ، من أحكام ذلك القانون ، وتلزمهم به ، وتقـرَّهم عليـه ، وتحتمـه عليهم . فـأي كفـر فـوق هـذا الكفـر ؟ وأي مناقضـة للشـهادة بـان محمـداً رسول الله بعد هذه المناقضة .

وذِكْرُ أدلة جميع ما قدمنا على وجه البسط معلومة معروفـة لا يحتمل ذكرها هذا الموضع ، فيا معشر العُقلاء ! ويا جماعات الأذكياء وأولي النُهى ! كيـف ترضـون أن تجـري عليكم أحكـام أمثـالكم ، وأفكـار أشـباهكم ، أو من هم دونكم ، ممن يجـوز عليهم الخطـأ ، بـل خطـأهم أكـثر من صـوابهم بكثـير ، بـل لا صواب في حكمهم إلاَّ ما هو مستمد من حكم اللـه ورسـوله ، نصـاً أو اسـتنباطاً ، تَـدَعُنهم يحكمـون في أنفسـكم ودمـائكم وأبشاركم وأعراضكم ، وفي أهـاليكم من أزواجكم وذراريكم ، وفي أمــوالكم وســائر حقــوقكم ، ويــتركون ويرفضــون أن يحكموا فيكم بحكم الله ورسوله ، الذي لا يتطرق إليـه الخطـأ ولا يأتيه الباطل من بين يديـه ولا من خلفـه تنــزيلٌ من حكيمٍ حميد ...فضلاً عن كونه كفـراً بنص قولـه تعـالى : { **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** }[111] .

وهذا هو الموجود اليوم في بلاد المسلمين عموماً وخصوصـاً في البلاد العربية حيث موجود القوانين التجارية[112] والصـناعية والعسكرية والتحاكم إليها ، وفي الغالب أن الأحوال الشخصية تحكم بالشريعة وغيرهـا بالقـانون الملفـق ، وهـذا موجـود في بلاد المسلمين في هذا العصـر ، إذ جعلـه الشـيخ أبن إبـراهيم أكفـر وأشــد الكفــر المخــرج من الملّــة ، فنــبرأ من الــذين

[111] أنظر تحكيم القوانين لأبن إبراهيم .

[112] وهذا هو التشريع وهو من جنس الأول وأنظر على سبيل المثال أنظر ما يُطبق في دولة التوحيد المزعـوم ((السـعودية)) يُحكم فيها بالقوانين التجارية في ((الغُرفة التجارية)) ، وارجع إلى كلام الشيخ ابن إبراهيم رحمه الله في فتاواه المجلد 12 ، صرح بأنها كُفر ناقل عن الملَّة ، وأيضاً في ((نظام العمل والعمال)) ، يُحكم فيه بـالقوانين الوضـعية ، ارجـع إلى كلام الشـيخ عبد الله بن حميد رحمه الله على هذا النظام ، إذ تكلم على هذا النظام كلاماً مفصلاً نفيساً في الدرر السنية (16 / 237) ، وصرح أن هذا النظام تحاكم للطاغوت وردٌّ صريح لشرع الله عزَّ وجلَّ ، واقرأ هذه الورقات قراءةً جيـدة حـتى لا يُلبس عليـك علماء الحكومات ، فماذا يقول الذين يعتذرون عن طـواغيتهم بعـد هـذا { **أكُفاركم خـيرٌ من أولئـك أم لكم بـراءةٌ في الزُبر** } الآية ؟؟

إن عـشت فسـوف تـرى منها عجـائبها   إن كـان قلـبك حياً غـير مفـتونِ

فـمن يمُــت قلـبهُ لا يهـتدي أبــداً   ولـو جئـته بصحيـحات البراهـينِ

يحكمونها ويتحاكمون إليها { **كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده** } .

7 _ ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي ونحوهم من حكايات آبائهم وأجدادهم وعاداتهم التي يُسمونها (سلومهم) ، يتوارثون ذلك منهم ، ويحكمون به ويحصلون على التحاكم إليه عند النزاع ، بقاءً على أحكام الجاهلية ، وإعراضاً ورغبة عن حكم الله ورسوله ، فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله[113] .

وهذا منتشر بين كثير من القبائل ، وخصوصاً قبائل اليمن ، فأنه واضحٌ جلّيٌ هناك ، وموجود أيضاً في جنوب الجزيرة ، وعند بعض قبائل نجد ، ويُسمونه ((العارفة)) و ((مقطع الحق)) ، فنبرأ إلى الله من هذا الكُفر .

كل من دعا إلى تحكيم غير الله ورسوله فقد دعا إلى تحكيم الطاغوت :

ـ **قال** الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في شرحه لكتاب التوحيد (كما أن من دعا إلى تحكيم غير الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد دعا إلى تحكيم الطاغوت)[114] .

الدعوة إلى تحكيم الطاغوت هذا كفر مُخرج من الملّة ، إذ إننا في عصر قد كثرت الطواغيت التي يُدعى إلى تحكيمها من دون الله ، ومن هذه الطواغيت : هيئة الأُمم والنظام العالمي الجديد ومحكمة العدل الدولية ومجلس الأمن ، وغيرها من الطواغيت التي تحكم بغير ما أنزل الله ، بل كثير من الدول التي تزعم أنها إسلامية ، تتحاكم إلى هذه الطواغيت ، وأما من كان عضواً مؤسِساً في هذه الطواغيت ، فهو من دُعاة التحاكم إلى غير الله ورسوله ، وبذلك يكون طاغوتاً يجب البراءة منه وتكفيره .

ـ **وقال** الشيخ عبد الله بن حميد : (وقد تكفلت الشريعة بحل جميع المشاكل وتبيينها وإيضاحها ، قال تعالى : { **ما**

[113] تحكيم القوانين لابن إبراهيم .
[114] تيسير العزيز الحميد ص 556 .

فرطنا في الكتاب من شيء } [الأنعـام / 38] . وقال تعـالى : { **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمة وبشرى للمسلمين** } [النحل / 89] . ففي هذه الآية أن القـران فيـه البيـان لكـل شـيء ، وأن فيـه الاهتـداء التـام ، وأن فيـه الرحمة الشاملة ، وأن فيه البشـارة الصـادقة للمتمسـكين بـه الخاضعين لأحكامه ، قال تعالى :{ **كان الناس أمة واحـدة فبعث الله النبـيين مبشـرين ومنـذرين وأنـزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه** } [البقرة / 213]) .

ـ **وقال** الشـيخ سـليمان بن عبـد اللـه : (... نبـه في هـذا الباب على ما تضمنه التوحيد ، واستلزمه من تحكيم الرسـول صلى الله عليه وسلم في موارد الـنزاع ، إذ هـذا هـو مقتضـى شهادة أن لا إله إلاَّ الله ، ولازمها الذي لا بُـدّ منـه لكـل مـؤمن ...فمن شـهد أن لا إلـه إلاَّ اللـه ، ثم عـدل إلى تحكيم غـير الرسول صلى الله عليه وسلم في موارد النـزاع ، فقـد كـذب في شهادته)[115] .

ـ **وقال** الشيخ عبد الرحمن السعدي : (كُـل من حكم بغـير شرع الله فهو : طاغوت)[116].

التحاكم إلى القوانين تحاكم إلى الطاغوت :

ـ **قال** الشـيخ محمـد بن إبـراهيم رحمـه اللـه تعـالى : (ولا يجوز استبدال الشريعة الإلهيـة بـالقوانين الوضـعية ، الـتي مـا أنزل الله بها من سـلطان ، وإسـناد مثـل هـذه المشـاكل إلى أهل القوانين من إسناد الأمر إلى غير أهله ، لأنه من التحاكم إلى الطاغوت الذي أمر الله بالكفر به في قوله : { **ألم ترى إلى الذين يزعمون أنهم ءامنوا بمـا أنـزل إليـك ومـا أنزل من قبلك يريـدون أن يتحـاكموا إلى الطـاغوت وقد أُمِروا أن يكفُروا به ويُريد الشـيطان أن يُضـلهم ضلالاً بعيدا** } [النساء / 60])[117] .

[115] تيسير العزيز الحميد ص 554 , 555 .
[116] تيسير الكريم الرحمن 1 / 363 .
[117] فتاوى ورسائل الشيخ ابن إبراهيم 12 / 274 .

قد يحتج أهل الطواغيت بالإكراه على أفعالهم :

ــ **قال** الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى : (ولكن لمّا عاد الإسلامُ غريباً كما بدأ ، صار الجاهلون به ، يعتقدون ما هو سبب الرحمة ، سبب العذاب ، وما هو سبب الإلفه والجماعة ، سبب الفرقة والاختلاف ، وما يحقن الدماء سبباً لسفكها ،كالذين قال الله فيهم : { **وإن تصبهم سيئةٌ يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون** } [الأعراف / 131] . وكذلك الذين قالوا لأتباع الرُسل : { **إنَّا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجُمنكم وليمسنكم منا عذابٌ أليم قالوا طائركم معكم أئن ذُكّرتم بل أنتم قومٌ مسرِفون** } [يس / 18 ـ 19] . فمن أعتقد أن تحكيم شريعة الإسلام ، يُفضي إلى القتال والمخالفة ، وأنه لا يحصل الاجتماع والإلفه إلاَّ على حاكم الطاغوت ، فهو كافر عدو لله ولجميع الرُسل ، فإن هذا حقيقة ما عليه كفار قُريش ، الذين يعتقدون أن الصواب ما عليه آباؤهم ، دون ما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم . **المقام الثاني** : أن يقال : إذا عرفت أن التحاكم إلى الطاغوت كُفر ، فقد ذكر الله في كتابه : أن الكفر أكبر من القتل ، قال : { **والفتنة أكبر من القتل** } [البقرة / 217] ، وقال : { **والفتنة أشد من القتل** } [البقرة / 191]ــ ،ـ **والفتنة** هي الكُفر ، فلو اقتتلت البادية والحاضرة ، حتى يذهبوا ، لكان أهون من أن ينصبوا في الأرض ، طاغوتاً يحكم بخلاف شريعة الإسلام ، التي بعث الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم . **المقام الثالث** : أن نقول: إذا كان هذا التحاكم كفراً ، والنزاع إنما يكون لأجل الدُنيا ، فكيف يجوز لك أن تكفُر لأجل ذلك ؟ فإنه لا يؤمن الإنسان ، حتى يكون الله ورسوله ، أحب إليه مما سواهُما ، وحتى يكون الرسول أحب إليه ، من ولده ووالده والناس أجمعين . فلو ذهبت دُنياك كلها ، لما جاز لك المحاكمة إلى الطاغوت لأجلها ، ولو أضطرّك مُضطرّ

وخيَّرك ، بين أن تحاكم إلى الطاغوت ، أو تبذُل دُنياك ، لوجب عليك البذل ، ولم يجز لك المحاكمة إلى الطاغوت)[118] .

تحكيم القـوانين كُفـر ناقـل عن الملَّة ، وإن قال أصحابُه أخطأنا وحكم الشرع أعدل :

ـ **قال** الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله :(وأما الذي قيل فيه : كُفر دون كفر ، إذا حاكم إلى غير اللـه ، مـع اعتقـاد أنـه عاص وأن حكم الله هو الحق ، فهـذا الـذي يصـدر منـه المـرَّة ونحوها . أما الذي جعل قوانين بترتيب وتخضيع فهـو كفـر وإن قـالوا : أخطأنـا وحكم الشـرع أعـدل . ففـرق بين المُقـرِّر والمثبِت والمرجع ، جعلوه هو المرجـع . فهـذا كفـر ناقـل عن الملَّة (تقرير))[119] .

البلدة التي تحكم بالقانون ليست بلد إسلام :

ـ **سُئل** الشيخ ابن إبراهيم : **س** : هل تجب الهجرة من بلاد المسلمين الـتي يحكم فيهـا بالقـانون ؟ **ج** : البلـد الـتي يحكم فيها بالقانون ليست بلد إسـلام ، تجب الهجـرة منهـا ، وكـذلك إذا ظهـرت الوثنيـة من غـير نكـير ولا غُيِّرت فتجب الهجـرة ، فالكفر : بفشو الكفر وظهوره . هذه بلد كفر . أما إذا كان قـد يحكم فيها بعض الأفراد أو وجود كُفريـات قليلـة لا تظهـر فهي بلد إسلام (تقرير))[120] .

ـ **وقال** الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله تعالى : (أن البلد إذا ظهر فيهـا الشـرك ، وأُعلِنت فيهـا المُحرمـات ، وعُطلت فيهـا معـالم الـدين ، أنهـا تكـون بلاد كفـر ، تُغنم أمـوال أهلهـا ، وتستباح دماؤهم ، وقد زاد أهل هذه البلد ، بإظهار المسبّة لله ولِدينه ، ووضعوا قوانين يُنفذونها في الرعية ، مخالفـة لكتـاب الله وسنة نبيه صلى اللـه عليـه وسـلم ، وقـد علمت أن هـذه كافية وحدها ، في إخراج من أتى بها من الإسلام)[121] .

[118] الدرر السنية 10 / 509 _ 511 .
[119] مجموع رسائل وفتاوى الشيخ ابن إبراهيم 12 / 280 .
[120] مجموع رسائل وفتاوى الشيخ ابن إبراهيم 6 / 188 .
[121] الدرر السنية 9 / 257 .

منع الجهاد في سبيل الله كفر صريح يُقاتل عليه بلا خلاف عند العلماء :

ـ **قال** شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله : (فأيما طائفة امتنعت من بعض الصلوات المفروضات ، أو الصيام ، أو الحج ، أو عن التزام تحريم الدماء ، والأموال ، والخمر ، والزنا ، والميسر ، أو عن نكاح ذوات المحارم ، أو عن التزام جهاد الكفار[122] ، أو ضرب الجزية على أهل الكتاب ، وغير ذلك من واجبات الدين ومحرماته ــ التي لا عذر لأحد في جحودها وتركها ـ التي يكفر الجاحد لوجوبها . فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مُقرّة بها. وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء .

وإنما اختلف الفقهاء في الطائفة الممتنعة إذا أصرت على ترك بعض السُنن كركعتي الفجر ، والأذان والإقامة ــ عند من لا يقول بِوجوبها ـ ونحو ذلك من الشعائر . هل تقاتل الطائفة الممتنعة على تركها أم لا ؟ فأما الواجبات والمحرمات المذكورة ونحوها فلا خلاف في القتال عليها .

وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البُغاة الخارجين على الإمام ، أو الخارجين عن طاعته ؛ كأهل الشام مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه . فإن أولئك خارجون عن طاعة إمام مُعين ، أو خارجون عليه لإزالة ولايته . وأما المذكورون فهم خارجون عن الإسلام ؛ بمنزلة مانعي الزكاة ، وبمنزلة الخوارج الذين قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ولهذا افترقت سيرة علي رضي الله عنه في قتاله لأهل البصرة والشام ، وفي قتاله لأهل النهروان فكانت سيرته مع أهل البصرة والشاميين سيرة الأخ مع أخيه ، ومع الخوارج بخلاف ذلك . وثبتت النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم بما استقر عليه إجماع الصحابة من قتال الصديق وقتال الخوارج ؛ بخلاف الفتنة الواقعة مع

[122] وهذا هو الحاصل الآن في بلاد المسلمين من منع الجهاد ومحاربته ومحاكمة المجاهد بالسجن ، كما حصل ذلك في التزام توقيع مكافحة الإرهاب . وتغيير الأسماء لا يُغير الحقائق ، فيقصدون بالإرهاب الجهاد ، فيتبين كفرهم وردتهم عن الدين ، ولا يُنكر ذلك إلاَّ رجل جاهل أو خبيث يُجادل عن الطواغيت.

أهـل الشـام والبصـرة ؛ فـإن النصـوص دلت فيهـا بمـا دلت ، والصحابة والتابعون اختلفوا فيها)[123] .

طاعة الطواغيت المُكفرة :

ــ **وقـال** أحـد المُعاصِـرين : (ومن هـذا طاعـة الحُكـام والرؤسـاء في تحكيم القـوانين الوضـعية المُخالفـة للأحكـام الشرعية في تحليل الحرام ، كإباحة الرِبا[124] ، والزنا ، وشـرب الخمر ، ومساواة المرأة بالرجل في المِراث ، وإباحة السفور والاختلاط ، أو تحريم الحلال كمنع تعدد الزوجات ...ومـا أشـبه ذلك من تغيير أحكـام اللـه واسـتبدالها بـالقوانين الشـيطانية ، فمن وافقهم على ذلـك ورضـي بـه واستحسـنه فهـو مشـرك كافر والعياذ بالله) .

[123] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه 28 / 503 , 504 .

[124] تجد هذا واضحاً جلياً في بلاد المسلمين اليوم من إباحة الربا وفتح البنوك والتصريح لها ، ويجعل هناك قوانين تحميها وتدافع عنها ، وجعل عليها حراسة ، وهذا من الاستحلال العملي المخرج من الملّة ، والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل إلى رجل تزوج امرأة أبيه أن يقتل ويُخمس ماله ، وعده النبي صلى الله عليه وسلم من الاستحلال العملي ، فأنتبه لهذه المسألة .

الفصل الثـالث : الشـك في كفـر الكافر[125]

ـ **قال** الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : (أن المرتـدين افـترقوا في ردتهم ، فمنهم ...ومنهم من ثبت على الشهادتين ، ولكن أقرَّ بنبوة مُسيلمه ، ظناً أن النبي صلى الله عليه وسلم أشركه في النبوة ، لأن مُسـيلمه أقـام شـهود زور شهدوا له بذلك ، فصدقهم كثير من النـاس ، ومـع هـذا أجمـع العلماء أنهم مُرتدُّون ولو جهِلوا ذلك[126] ، ومن شـك في رِدتهم فهو كافر)[127] .

ـ **وقال** الشيخ أبـو بطين رحمـه اللـه تعـالى : (وقـد أجمـع المسلمون : على كُفر من لم يُكفر اليهود والنصارى ، أو شـك في كُفرهم ، ونحنُ نتيقن أن أكثرهم جُهال)[128] .

ـ **وقد سُئِل** الشـيخ عبـد اللـه بن عبـد اللطيـف ، عمَّن لم يُكفـر الدولـة ــ أي الـدواة التركيـة آنـذاك ــ ومن جـرَّهم على المسلمين ، واختار ولايتهم ، وأنه يلزمهم الجهاد معه ، والآخــر لا يرى ذلك كله ، بل الدولة ومن جرهم بُغـاة ، ولا يحــل منهم إلاَّ ما يحل من البُغاة ... ؟

فأجـاب : (من لم يعـرف كُفــر الدولــة ، ولم يُفــرق بينهم وبين البُغاة من المسلمين ، لم يعـرف معـنى لا إلـه إلاَّ اللـه ، فإن اعتقد مع ذلك : أن الدولة مسلمون ، فهو أشــد وأعظم ، وهذا هو الشك في كفر من كفـر بالله[129] ، وأشـرك بـه ، ومن جرَّهم وأعانهم على المسلمين ، بأي إعانة ، فهي ردَّة صريحة)[130] .

[125] **تنبيه** :
هذه المسألة مسألة مهمة وقد أعدها الشيخ محمد بن عبد الوهاب من نواقض الإسلام ، قال رحمه الله : **الناقض الثالث** من لم يُكفر المشركين أو شك في كُفرهم أو صحح مذهبهم كفر ، وهذا الناقض يُطبق على من شك في كُفر الكفار الأصليين ، مثل اليهود والنصارى ، فمن شك في كُفرهم فهو كافر ، أما الكافر المُرتدّ ففيهِ تفصيل ، فمن كان كُفره واضحاً بيناً مثل من سبّ الله أو سبّ الرسول ، أو أدعى النبوة ، فهذا كافر ومن شك في كُفره فهو كافر ، فتُطبق عليه هذه القاعدة ، أما إذا كانت المسألة خلافية أو اجتهادية ،بين السلف مثل تارك الصلاة ، فلا تُطبق هذه القاعدة عليه ، لأن هناك من السلف مثل الشافعي ، لا يرى أن تارك الصلاة يكفر ، وهو مجتهد فلا تُطبق عليه هذه القاعدة ، إذ لو طُبقت هذه القاعدة لكفرنا كثيراً من السلف ، فنبرأ إلى الله من ذلك ، وأيضاً هناك فرق بين من لم يكفر المرتدّ لإشتراط إقامة الحجة ، فهذا مخطئ وليس داخل في كلامنا .

[126] تأمل كلام الشيخ ، تجد أنه لم يعذرهم بالجهل ، وهم جُهال ، بل كفرهم وكفر من لم يُكفرهم .

[127] الدرر السنية 8 / 118 .

[128] الدرر السنية 12 / 69 .

[129] وكثير من دول هذا العصر تُظهر الكفر البواح ليلاً ونهاراً من بناء الأضرحة والمشاهد ووضع السدنة ، كما في مصر وغيرها من الدول العربية ، ومع ذلك تجد من ينتسب إلى طلب العلم يتوقف في كفرها ، فنعوذ بالله من الضلال ، وهذا هو شرك الأموات أما شرك الأحياء ، وهو أخطر ، مثل من يُتحاكم إلى هيئة الأمم وغيرها من الطواغيت ، ولا يُكفر من يتحاكم إليها !! .

[130] الدرر السنية 10 / 429 .

ـ **وقال** الشيخ سليمان بن عبد الله رحمهما اللـه تعـالى : (**وأما قول السائل** : فإن كان ما يقدر من نفسه ، أن يتلفظ بِكفرهم وسبهم ــ أي في أهل بلد مُرتـدين ، وهكـذا كـان نص السؤال ــ ما حكمـه ؟ فـالجواب : لا يخلـو ذلـك عن أن يكـون شـاكاً في كفــرهم أو جـاهلاً بــه ، أو يُقــرّ بــأنهم كفــرة هم وأشــباههم ، ولكن لا يقــدر على مــواجهتهم وتكفـــيرهم ، أو يقـول:

غيرهم كفار ، لا أقول إنهم كفار ، فإن كان شـاكاً في كفـرهم أو جـاهلاً بكفـرهم ، بُيّنت لـه الأدلـة من كتـاب اللـه ، وسـنة رسوله صلى الله عليه وسلم على كُفرهم ، فإن شك بعد ذلك أو تـردد ، فإنـه كـافر بإجمـاع العلمـاء . على أن من شـك في كفر الكافر ، فهو كافر . وإن كان يُقرّ بكفرهم ، ولا يقدر على مواجهتهم بتكفيرهم ، فهـو مـداهن لهم[131] ، ويـدخل في قولـه تعالى : { **ودّوا لو تُدهن فيدهِنون** } [القلم / 9] ولـه حكم أمثاله من أهل الذنوب ، وإن كان يقول: أقول غـيرهم كفـار ، ولا أقول هم كفار ، فهـذا حكم منـه بإسـلامهم ، إذ لا واسـطة بين الكفـر والإسـلام ، فـإن لم يكونـوا كفـاراً فهم مسـلمون ؛ وحينئذٍ فمن سمى الكفر إسلاماً أو سـمى الكفـار مسـلمون ، فهو كافر فيكون هذا كافراً)[132] .

ـ **وقال** الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه اللـه : (...ولـو عرف معنى لا إله إلاَّ الله ، لعـرف أن من شـك ، أو تـردد في كفر من أشرك مع الله غيره ، أنه لم يكفر بالطاغوت)[133] .

ـ **وقال** الشيخ عبد الله ، والشيخ إبراهيم أبنـاء الشـيخ عبـد اللطيـف ، والشـيخ سـليمان بن سـحمان ، في الإجابـة على سـؤال ورد عليهم : (لا تصـح إمامــة من لا يُكفــر الجهميــة والقبوريين ، أو يشك في تكفيرهم ، وهذه المسألة من أوضـح الواضحات ، عند طلبة العلم ...ومع ذلك فأهل العلم متفقــون

[131] تأمل كلام الشيخ سليمان رحمه الله ، إذ جعل عدم مواجهة الكفرة بتكفيرهم من المداهنة لهم ، خلافاً لمن يقول إن المداهنة تكون في السكوت والمجاراة لهم في كُل شيء ، وهذا قول باطل .

[132] الدرر السنية 8 / 160 , 161 .

[133] الدرر السنية 11 / 523 .

على تكفيره ـ يعنون بشِـر المريسـي ـ وكـذلك القبوريـون لا يشك في كفرهم ، من شمَّ رائحة الإيمان)[134] .

* * * * *

[134] الدرر السنية 10 / 436 , 437 .

الفصل الرابع : في من سبَّ النبي صلى الله عليه وسلم ، أو استهزأ بحكم من أحكامه ، أو دفع شيئاً مما جاء به

ـ **قال** الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى : (وقال الشيخ ـ ابن تيميه ـ رحمه الله تعالى في كتاب (الصارم المسلول على شاتم الرسول) : قال الإمام إسحاق بن راهويه ، أحد الأئمة يُعدل بالشافعي وأحمد : أجمع المسلمون أن من سبَّ الله أو رسوله أو دفع شيئاً مما أنزل الله ، أنه كافر بذلك ، وإن كان مُقِرّاً بكل ما أنزل الله . وقال محمد بن سحنون ، أحد الأئمة من أصحاب مالك : أجمع العلماء على أن شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم كافر ، وحكمه عند الأئمة القتل ، ومن شك في كُفره كفر ، قال ابن المنذر : أجمع عوام أهل العلم على أن على من سبَّه القتل ، وقال الإمام أحمد فيمن سبَّه : يقتل ، قيل : فيه أحاديث ؟ قال : نعم ، منها حديث الأعمى الذي قتل المرأة ، وقول ابن عُمر : من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ، وعُمر بن عبد العزيز يقول : يقتل . وقال في رواية عبد الله : لا يُستتاب ، إن خالد بن الوليد قتل رجلاً شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يستتبه . انتهى)[135] .

ـ **وقال** الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في نواقض الإسلام : (**الناقض السادس** : من استهزأ بشيء من دين الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو ثوابه ، أو عقابه كفر ، والدليل على ذلك قوله تعالى : { **قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم**[136] **بعد إيمانكم** }) .

وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم ، عن عبد الله ابن عمر ، قال : قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً : ما رأينا مثل قُرائُنا هؤلاء ، أرغب بطوناً ، ولا أكذب ألسناً ، ولا

[135] عقيدة الموحدين ، رسالة (الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة) ص 271 .
[136] ومعلوم أن الذي تكلم بالكفر رجل واحد ، فكفر الله الثلاثة ، لأن الباقين سكتوا ولم ينكروا ورضوا ، فكفرهم الله ، وعفا عن واحد ، ومع ذلك الذين كفرهم الله كانوا صحابة وكانوا ذاهبين إلى غزوة ، فكفرهم بسبب هذه الكلمات الخطيرة .

أجبن عند اللقـاء . فقـال رجـل في المجلس : كـذبت ! ولكنـك منافق ، لأُخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلـغ ذلـك رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، ونـزل القـرآن . قـال عبـد الله فأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم والحجارة تنكبه وهـو يقـول : يـا رسـول اللـه ! إنمـا كنـا نخوض ونلعب ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقـول : { **أبللـه وآياته ورسوله كنتم تستهزئون** }[137] [التوبة / 65] .

ـ **قال** شيخ الإسلام أبن تيميه رحمـه اللـه على هـذه الآيـة { **لقد كفرتم بعـد إيمـانكم ...**} الآيـة : (فـدلَّ على أنهم لم يكونـوا عنـد أنفسـهم قـد أتـوا كفـراً ، بـل ظنـوا أن ذلـك ليس بكُفر ، فبين أن الاستهزاء بالله وآياتـه ورسـوله كُفـر يكفُـر بـه صاحبه بعد إيمانه ، فدل على أنه كـان عنـدهم إيمـان ضـعيف ، ففعلوا هذا المُحرم الذي عرفـوا أنـه مُحـرم ، ولكن لم يظنـوه كُفراً وكان كُفراً كفروا به ، فإنهم لم يعتقدوا جوازه)[138] .

ـ **وقال** الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه اللـه تعالى : (معنى قول إسحاق رحمـه اللـه تعـالى ((أو دفـع شـيئاً مما أنزل الله)) ، أن يدفع ويرد شيئاً مما أنزل الله في كتابه ، أو على لسان رسوله صلى اللـه عليـه وسـلم من الفـرائض أو الواجبات أو المسنونات أو المستحبات ، بعد أن يعرف أن اللـه أنزله في كتابه ، أو أمر بـه رسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم أو نهى عنه ، ثم دفعه بعد ذلك فهو كـافر مُرتـد ، وإن كـان مُقـرَّاً بكل ما أنزل اللـه من الشـرع ، إلاَّ مـا دفعـه وأنكـره لمخالفتـه لهواه أو عادته أو عـادة أهـل بلـده ...فمن أنكـر ذلـك وأبغضـه وسبَّه وسبَّ أهله وسماهم الخوارج ، فهـو الكـافر حقـاً ، الـذي

[137] فتأمل هذه القصة يا أخا التوحيد ، وافهم المسألة فهماً جيداً ، لتعـرف مـا نعيشـه في هـذا العصـر من الكفـر المسـتبين ، والردّة الصريحة والاستهزاء بدين الله ، بل إن الله يُسبّ ـ والعياذ بالله ـ ولا يُوجد من يقول كلمة الحق . ويُستهزئ به سبحانه وعلى رأس المستهزئين : الطاغوت الكبير (تركي الحمد) ، يقول : مسكين أنت يا اللـه... ويقـول : اللـه والشـيطان وجهـان لعملة واحدة ... ويقول... ويقول... فأين الموحدين ؟! أين العلماء ؟! أم أنهم علماء حكومات ، واللـه لـو تكلم أحـد من دعـاة التوحيد على أحد الطواغيت ، لأفتوا بأنه من الخوارج ، ودافعوا عن طواغيتهم . والله سبحانه يُسـبّ فلا نجـد من يُـدافع عنـه ، ولا نجد من يُفتي بقتل هذا الساب والله المستعان ، وأمثاله كثير منهم : (عبد الله السـدحان) و (ناصـر القصـبي) ، اسـتهزئا باللحية وبالثوب القصير وبالآذان وبالصالحين وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذا والله كفـر صـريح وردّة عن الـدين ، وكفر من فسح هذه المسلسلات ، ومع ذلك ما رأينا من صدع بكفـرهم . ويتـبين لـك أيضـاً جهـل النـاس بالتوحيـد ، والمصـيبة العظمى والكارثة الأطمّ أنك تجد من علماء الحكومات ودعاتهم من يتوقف في كفر الطاغوت "تركي الحمد" . فنبرأ إلى اللـه من هؤلاء ، ونشكوا حالنا إليه وندعوه أن يأتي برجال أمثال الأبطال محمد بن مسلمة الذي ذهب هو وصاحبيه وقتلوا طـاغوت اليهود .
فنسألك يا الله أن تهلك المستهزئين بدينك ، اللهم عليك بهم فإنهم لا يُعجزونك ، اللهم نصرُك الذي وعدت يا رب العالمين .

[138] مجموع الفتاوى 7 / 273 .

يجب قتالـه حـتى يكـون الـدين كلـه للـه ، بإجمـاع المسـلمين كلهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم)[139]

[139] عقيدة الموحدين ، رسالة : (الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة) ص 272 , 273 .

الفصـــل الخـــامس : العُـــذر بالجهل[140]

ـ **قال** الشيخ إسحاق بن عبـد الـرحمن رحمهم اللـه تعـالى : (قال ابن القيم رحمه الله تعالى : في كتاب طبقات المكلفين لما ذكر رؤوس الكفار الذين صدّوا عن سبيل الله ، أن عـذابهم مُضـاعف ، ثم قـال : **الطبقـة السـابعة عشـرة** : طبقـة المقلدين وجُهال الكفار وأتباعهم وحميرهم الذين هم معهم تبع ، يقولون إنا وجـدنا آباءنـا على أمُّة ولنـا أسـوة بهم ، ومـع هـذا فهم مسالمون لأهل الإسلام غـير مُحـاربين لهم ...وقـد اتفقت على هذه الطبقة كفار وإن كانوا جُهالاً مقلـدين لرؤسـائهم[141] ، وأئمتهم ، إلاَّ ما يُحكى عن بعض أهل البدع أنه لم يحكم لهـؤلاء بالنار وجعلهم بمنـزلة من لم تبلغـه الـدعوة ، وهـذا مـذهب لم يقل به أحـد من أئمـة المسـلمين ولا الصحابة ولا التـابعون ولا من بعـدهم ، وإنمـا يُعـرف عن بعض أهـل الكلام المحـدث في الإسلام)[142].

ـ **وقال** الشيخ عبـد الـرحمن بن حسـن رحمـه اللـه تعـالى : (وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ، أيضاً : في طبقـات الناس ـ من هذه الأمة وغيرها ـ **الطبقة السـابعة عشـرة** : طبقة المقلدين ...وقد أخبر الله في القرآن ، في غير موضـع ، بعـذاب المُقلـدين لأسـلافهم من الكفـار ، وأنهم يتحـاجّون في النار ، وأن الأتبـاع يقولـون : { **ربنا هـؤلاء أضـلونا فـآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون** } [الأعـراف / 38] ، انتهى ملخصاً... وهذا كلام شيخ الإسلام رحمـه الله تعالى ، في المنهاج ، يطابق ما قـد أسـلفناه عنـه في هـذا الجواب :

---

140 **تنبيه** :
من وقع في الكفر والشرك فهذا كافر مشرك ، هذا حكمه في الدُنيا ، أما الآخرة ففيه خلاف ، والصحيح أن الله عزَّ وجلّ لا يُعذب أحداً حتى يُقيم الحُجة عليه ، لقوله تعالى : { **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** } فمن نشأ في بادية بعيده لم يسمع بالإسلام أو كان حديث عهد بالإسلام ووقع في الكُفر ، فحكمه في الدُنيا كافر غير مُعذب يوم القيامة ، لأن الحُجة لم تقم عليه ، وحكمه في الدنيا شيء وفي الآخرة شيء آخر ، إلاَّ في المسائل الخفية فلا يكفر حتى يُعرف ، هذا في الجملة منهج ابن تيميه وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة ، وسيأتي كلامهم رحمهم الله تعالى .

141 تأمل كلام ابن القيم ، إذ لم يعذر الجهال وكفرهم ، وأنتبه ، حتى المقلدين لرؤسائهم أو علمائهم فإنهم داخلين في ذلك إذا أطاعوهم في الكفر ، فأنتبه يا أخا التوحيد وادعوا الله وتضرع إليه بطلب الحق ، وإياك والتقليد ، واجعل منهجك الكتاب والسنة ، والحذر الحذر من الزيغ ، نسأل الله أن يُثبتنا وإياك على الصراط المستقيم .

142 عقيدة الموحدين رسالة (حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة) ص 183 .

قال رحمه الله تعالى : وأشهر الناس بالردّة ، خصوم أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، وأتباعه ، كمسيلمة الكذاب ، وأتباعه ، وغيرهم . ومن أظهر الناس ردّة : الغالية الذين حرَّقهم علي رضي الله عنه بالنار ، لمّا ادعوا فيه الإلهية ؛ والسبئية أتباع عبد الله بن سبأ ، الذي أظهر سبّ أبي بكر وعُمر . وأول من ظهر عنه دعوة النبوة ، من المنتسبين إلى الإسلام : المختار بن أبي عُبيد ، وكان من الشيعة[143] ، فعُلم : أن أعظم الناس ردّةً ، هم في الشيعة أكثر منهم في سائر الطوائف ؛ ولهذا لا يُعرف أسوأ ردّة من ردّة الغالية ، كالنُصيريه ، ومن ردّة الإسماعيليه الباطنية ونحوهم . انتهى .

ومن المعلوم : أن كثيراً من هؤلاء جُهال ، يظنون أنهم على الحق ، ومع ذلك حكم شيخ الإسلام بسوء ردتهم)[144] .

ـ **وقال** شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله : (ولفظ ((الضلال)) إذا أُطلق تناول من ضلّ عن الهدى ، سواء كان عمداً أو جهلاً ، ولزم أن يكون مُعذباً ، كقوله : { **إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم علي آثارهم يهرعون** } ، وقوله : { **ربنا إنا اطعنا سادتنا وكُبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً** })[145] .

ـ **وقال** رحمه الله : (والمقصود هنا أن فيمن يُقرَّ برسالته العامة في الظاهر من يعتقد في الباطن ما ينقض ذلك ، فيكون منافقاً وهو يدعي في نفسه وأمثاله أنهم أولياء الله مع كُفرهم في الباطن بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم إما عناداً وإما جهلاً)[146] .

ـ **وقال** أيضاً : (وبنوا آدم ضلالهم فيما جحدوه ونفوه بغير علم ، أكثر من ضلالهم فيما أثبتوه وصدقوا به)[147] .

[143] والشيعة هم الرافضة وهم كفار بالله ، ولذلك فمن معتقداتهم أنهم يتهمون عائشة رضي الله عنها بالزنا ، حاشاها وقد برأها الله في القرآن ، ويقولون إن القرآن ناقص ، وقد قال ابن عباس (من كفر بحرف واحد من القرآن فقد كفر بالقرآن كله ، ويسبون الصحابة ومنهم من يُكفر أبو بكر وعمر ، ومنهم من يؤلهون عليّ ، والصحيح أنهم كفار ، هم وعامتهم وجُهالهم ، ومن أراد مزيد بحث عن الرافضة فليرجع إلى كتاب صغير الحجم (من عقائد الشيعة) .
[144] الدرر السنية 11 / 479 _ 482 .
[145] مجموع الفتاوى 7 / 166 .
[146] مجموع الفتاوى 11 / 168 , 169 .
[147] مجموع الفتاوى 17 / 336 .

ـ **وقال** أيضاً رحمه الله : (وبالجملة فمن قال أو فعل ما هو كُفر كَفر ، وإن لم يقصد أن يكون كافراً ، إذ لا يقصد الكُفر أحد إلاَّ ما شاء الله)[148] .

ـ **وقال** : (وقد يبتلى في أماكن الجهل وزمانه كثير من الناس بما هو من الشرك الأكبر ، وهم لا يعلمون)[149] .

ـ **وقال** أبن القيم رحمه الله تعالى : (فإن قيل : فما الذي أوقع عُباد القبور في الافتتان بها ، مع العلم بأن ساكنيها أموات ، لا يملكون لهم ضرَّاً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياتاً ولا نُشورا ؟

قيل أوقعهم في ذلك أمور :

منها : الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله ، بل جميع الرُسل : من تحقيق التوحيد وقطع أسباب الشرك ، فقلَّ نصيبهم جداً من ذلك . ودعاهم الشيطان إلى الفتنة ، ولم يكن عندهم من العلم ما يُبطل دعوته ، واستجابوا له بحسب ما عندهم من الجهل ، وعُصِموا بقدر ما معهم من العلم)[150].

ـ **قال** الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين رحمه الله : (وما تقدم من حكاية شيخ الإسلام ـ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ، إجماع المسلمين على أن من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضّار ، أنه كافر مُشرك ، يتناول الجاهل وغيره ، لأنه من المعلوم أنه إذا كان إنسان يُقرّ برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ويؤمن بالقرآن ويسمع ما ذكر الله سبحانه في كتابه من تعظيم أمر الشرك بأنه لا يغفره وأن صاحبه مُخلد في النار ، ثم يُقدِم عليه وهو يعرف أنه شرك ، هذا ما لا يفعله عاقل ، وإنما يقع فيه من جهل أنه شرك)[151] .

ـ **قال** الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : (فإنك إذا عرفت : أن الإنسان يكفر ، بكلمة يُخرجها من لسانه ، وقد يقولها ، وهو جاهل ، فلا يُعذر بالجهل ، وقد يقولها ، وهو يظن أنها تقربه إلى الله ؛ خصوصاً : إن ألهمك الله ما قص عن قوم موسى ، مع صلاحهم ، وعلمهم ، أنهم أتوه

[148] الصارم المسلول ص 178 .
[149] مجموع الفتاوى 22 / 387 .
[150] إغاثة اللهفان 1 / 332 .
[151] مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج 4 القسم الثاني ص 477 .

قائلين { **اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة** } [الأعراف / 138] فحينئذٍ : يعظم خوفـــك ، وحرصـــك على مـــا يُخلصـــك ، من هـــذا ، وأمثاله)[152] .

ـ **ولقد** ذكـر رحمـه اللـه بعض نـواقض الإسـلام ، ونص على اسـتواء حكم الجّـاد والهـازل والخـائف حـال الوقـوع فيهـا إلاَّ المُكره ، ولم يستثني غيره مثل الجاهل أو المتأول أو المخطئ ، قال رحمه الله في آخر النواقض : (ولا فرق في جميـع هـذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف[153] إلاَّ المُكره)[154] .

ـ **وقال** الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين : (فنقول : كل من فعل اليوم ذلك عند هذه المشاهد ، فهو مشرك كافر بلا شك ، بدلالة الكتاب والسُنّة والإجمـاع ، ونحن نعلم : أن من فعل ذلك ممن ينتسب إلى الإسلام أنه لم يوقعهم في ذلـك إلاَّ الجهل ، فلو علموا : أن ذلك يبعد عن اللـه غايـة الإبعـاد ، وأنـه من الشرك الذي حرمه الله ، لم يُقدِموا عليه ، فكفرهم جميـع العلماء ، ولم يعذروهم بالجهل ، كما يقـول بعض الضـالين : إن هـؤلاء معـذورون لأنهم جُهـال ، وهـذا قـول على اللـه بغـير علم)[155] .

ـ **قال** الشيخ سـليمان بن سـحمان رحمـه اللـه : (فلا يُعـذر أحـد في عـدم الإيمـان باللـه وملائكتـه وكتبـه ورسـله واليـوم الآخر ، فلا عُذر له بعد ذلـك بالجهـل ، وقـد أخـبر اللـه سـبحانه بجهل كثير من الكُفار مع تصريحه بِكفرهم ، ووصـف النصـارى بالجهل مع أنـه لا يشـك مُسـلم في كفـرهم ، ونقطـع أن أكـثر اليهود والنصارى اليوم جُهَّال مقلدون ، ونعتقد كُفـرهم ، وكفـر من شـك في كُفـرهم . وقـد دلَّ القـرآن على أن الشـك في أصول الـدين كُفـر ...ولا عُـذر لمن كـان حالـه هكـذا لكونـه لم يفهم حُجج الله وبيناته لأنه لا عذر له بعد بُلوغها وإن لم يفهمهـا)[156] .

[152] الدرر السنية 1 / 71 .
[153] إن كان يخاف على زوال مُلك أو جاه أو منصب ، فليس معذور بل كافر ، والعياذ بالله ، بشرط أنه وقع في كفر .
[154] عقيدة الموحدين ص 470 .
[155] الدرر السنية 10 / 404 , 405 .
[156] كشف الشبهتين ص 92 .

ـ **قال** الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين رحمه الله : (ومما يُبين : أن الجهل ليس بعذر في الجملة ، قوله صلى الله عليه وسلم في الخوارج ما قال : مع عبادتهم العظيمة ؛ ومن المعلوم : أنه لم يوقعهم ما وقعوا فيه إلاَّ الجهل ، وهل صار الجهل عُذراً لهم ؟ يوضح ما ذكرنا : أن العلماء من كُل مذهب يذكرون في كتب الفقه : باب حكم ((المُرتد)) وهو المُسلم الذي يكفُر بعد إسلامه . وأول شيء يبدؤون به ، من أنواع الكُفر الشرك ، يقولون : من أشرك بالله كفر ، لأن الشرك عندهم أعظم أنواع الكُفر ، ولم يقولوا إن كان مثله لا يجهله ، كما قالوا فيما دونه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لما سُئل : أي الذنب أعظم إثماً عند الله ؟ قال : ((أن تجعل لله نداً وهو خلقك)) . فلو كان الجاهل أو المُقلد ، غير محكوم بردته إذا فعل الشرك ، لم يغفلوه ، وهذا ظاهر . وقد وصف الله سبحانه ، أهل النار بالجهل ، كقوله تعالى[157] : { **وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كُنا في أصحاب السعير** } [الملك / 10] ، وقال : { **ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعيُن لا يُبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** } [الأعراف / 179] ، وقال : { **قل هل نُنبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدُنيا وهم يحسبون أنهم يُحسِنون صُنعا** } [الكهف / 103 ـ 104] ، وقال تعالى : { **فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون** } [الأعراف / 30] ، قال ابن جرير ـ عند تفسير هذه الآية ـ : وهذا يدل على أن الجاهل غير معذور [158] ، ومن المعلوم : أن أهل البدع الذين كفرهم السلف والعلماء بعدهم ، أهل علم وعبادة وفهم وزهد ، ولم يوقعهم فيما ارتكبوه إلاَّ الجهل . والذين حرّقهم علي بن أبي طالب بالنار ، هل آفتهم إلاَّ

[157] هذه الأدلة على عدم العذر بالجهل في المسائل الظاهرة .
[158] نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله في هذه الآية عن الإمام الطبري قوله وأقرّه عليه ، وقال الإمام البغوي فيها : (وفيه دليل على أن الكافر الذي يظن أنه في دينه على الحق ، والجاحد ، والمُعاند ، سواء) .

الجهل ؟ ولو قال إنسان : أنا أشك في البعث بعد الموت ، لم يتوقف من له أدنى معرفة في كُفره ، والشاك جاهل ، قال تعالى : { **وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلاَّ ظناً وما نحن بمستيقنين** } [الجاثية / 30] وقد قال الله تعالى عن النصارى :{ **اتخذوا أحبارهم أترهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح أبن مريم** }الآية [التوبة / 31] قال عدي بن حاتم للنبي صلى الله عليه وسلم ما عبدناهم ، قال : ((أليس يُحلّون ما حرم الله فتحلونه؟ ويحرمون ما أحلّ الله فتحرمونه ؟)) قال : بلى ؛ قال : ((فتلك عبادتهم)) فذمهم الله سبحانه ، وسماهم مشركين ، مع كونهم لم يعلموا أن فعلهم معهم هذا عبادة لهم ، فلم يُعذروا بالجهل . ولو قال إنسان عن الرافضة في هذا الزمان : إنهم معذورون في سبهم الشيخين وعائشة لأنهم جُهال مُقلدون ، لأنكر عليهم الخاص والعام ، وما تقدم من حكاية شيخ الإسلام رحمه الله ، إجماع المسلمين على : أن من جعل بينه وبين الله وسائط ، يتوكل عليهم ، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار ، أنه كافر مُشرك ، يتناول الجاهل وغيره ... والقرآن يرد على من قال : إن المُقلد في الشرك معذور ، فقد افترى وكذب على الله ، وقد قال الله تعالى عن المقلدين من أهل النار { **إنا أطعنا سادتنا وكُبراءنا فأضلونا السبيلا** } [الأحزاب / 67] وقال سبحانه حاكياً عن الكُفار قولهم : { **إنا وجدنا آباءنا على أُمّة وإنا على آثارهم مهتدون**} [الزُخرف / 22] . وفي الآية الأُخرى { **إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون** } [الزخرف / 23] واستدل العلماء بهذه الآية ونحوها ، على أنه لا يجوز التقليد في التوحيد ، والرسالة ، وأصول الدين ، وأن فرضاً على كل مكلف : أن يعرف التوحيد بدليله ، وكذلك الرسالة ، وسائر أصول الدين ، لأن أدلة هذه الأصول ظاهرة ولله الحمد[159]، لا يختص بمعرفتها العلماء)[160] .

[159] أعرف ذلك يا طالب الحق ، وأهتم بالدليل واجعله منهجك .
[160] الدرر السنية 10 / 391 _ 394 .

ـ **وقال** رحمه الله : (ومن العجب أن بعض الناس إذا سمع من يتكلم في معنى هذه الكلمة نفياً وإثباتاً ، عاب ذلك وقال : لسنا مُكلفين بالناس والقول فيهم . فيقال له : بل أنت مُكلف بمعرفة التوحيد الذي خلق الله الجن والإنس لأجله ، وأرسل جميع الرُسل يدعون إليه ، ومعرفة ضده وهو الشرك الذي لا يُغفر ولا عذر لمكلف في الجهل بذلك ، ولا يجوز فيه التقليد لأنه أصل للأصول ، فمن لم يعرف المعروف وينكر المنكر فهو هالك ، لا سيما أعظم المعروف وهو التوحيد وأكبر المنكرات وهو الشرك)[161] .

ـ **وقال** الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله : (ويُقال : وكل كافر قد أخطأ ، والمشركون لا بُد لهم من تأويلات ، ويعتقدون أن شركهم بالصالحين ، تعظيم لهم ، ينفعهم ، ويدفع عنهم ، فلم يُعذروا بذلك الخطأ ، ولا بذلك التأويل ، بل قال الله تعالى : { **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلاَّ ليقربونا إلى الله زُلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار** } [الزمر / 3] ... والعلماء رحمهم الله تعالى سلكوا منهج الاستقامة ، وذكروا باب حكم المُرتد ، ولم يقل أحد منهم : أنه إذا قال كفراً ، أو فعل كفراً ، وهو لا يعلم أنه يُضاد الشهادتين ، أنه لا يكفر لجهله . وقد بين الله في كتابه : أن بعض المشركين جُهال مُقلدون ، فلم يدفع عنهم عقاب الله بجهلهم ، وتقليدهم ، كما قال تعالى : { **ومن الناس من يُجادل في الله بغير علم ويتبع كُل شيطان مريد** } إلى قوله : { **إلى عذاب السعير** } [الحج / 3 , 4])[162] .

ـ **وقال** الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله : (إن الشرك الأكبر من عبادة غير الله ، وصرفها لمن أشركوا به مع الله من الأنبياء والأولياء والصالحين ، فإن هذا لا يُعذر أحد في الجهل به ، بل معرفته والإيمان به من ضروريات الإسلام فعلى كل مسلم مُعاداة أهله ومقتهم

[161] عقيدة الموحدين رسالة : (الانتصار لحزب الله الموحدين) ص 16 .
[162] الدرر السنية 11 / 478 , 479 .

وعيبهم والطعن عليهم ، ومصلحة إنكاره راجحة على مفسـدة ترك ذلك من كل وجه)[163] .

ـ **وقال** الشـيخ عبـد اللـه بن عبـد الـرحمن أبـو بطين مُبينـاً الفـرق بين أهـل السُـنة والمعتزلـة في صـحة إيمـان المُقلِّد : (وفرض على كل أحد : معرفة التوحيد وأركان الإسلام بالدليل . ولا يجوز التقليد في ذلك ، لكن العاميّ الذي لا يعرف الأدلة ، إذا كان يعتقد وحدانية الرب سبحانه ، ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، وبالجنـة والنـار ، وأن هذه الأمور الشركية ، التي تُفعـل عنـد هـذه المشـاهد ، باطلـة وضلال ، فإذا كـان يعتقـد اعتقـاداً جازمـاً لا شـك فيه[164] ، فهـو مسلم وإن لم يُترجم بالدليل ، لأن عامة المسـلمين ولـو لُقِنـوا الدليل فإنهم لا يفهمون المعنى غالباً)[165] .

ـ **قال** الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن رحمه الله : (لابّـد في هذا المقـام من تفصـيل بـه يـزول الإشـكال ، وهـو الفـرق بين مُقلد تمكن من العلم ومعرفة الحق فـأعرض عنـه ، ومُقلـد لم يتمكن من ذلــك بِوجــه ، والقســمان واقعــان في الوجــود ، فالمتمكن والمُعرض مُفرط تارك للواجب عليه ، لا عذر له عند الله ، وأما العاجز عن السؤال والعلم الـذي لا يتمكن من العلم بوجه ، فهم قسمان ، **أحدهما** : مُريد للهدى مؤثر له مُحب له غير قادر عليه ولا على طلبه لعـدم مُرشـد ، فهـذا حكمـه حكم أربـاب الفـترات ومن لم تبلغـه الـدعوة ، **الثـاني** : معـرض لا إرادة له ولا يُحدث نفسه بغير ما هو عليه ، **فالأول** يقول : يـا رب لو أعلم لك دين خير مما أنا عليه لدُنت بـه وتـركت مـا أنـا عليه ولكن لا أعرف سوى ما أنا عليه ولا أقدر على غيره ، فهو غاية جُهدي ونهاية معرفتي ، **والثاني** : راضٍ بما هـو عليـه ولا يؤثر غـيره عليـه ولا تطلب نفسـه سـواه ، ولا فـرق عنـده بين حـال عجـزه وقدرتـه وكلاهمـا عـاجز ، وهـذا لا يُحب أن يلحـق بالأول لما بينهمـا من الفـرق ، **فـالأول** كمن طلب الـدين في الفترة فلم يظفر به ، فعدل عنه بعد استفراغ الوسع في طلبه

[163] كشف الشبهتين ص 63 , 64 .
[164] موقن بذلك من غير شك ولا تردد .
[165] الدرر السنية 10 / 409 .

عجزاً وجهلاً ، **والثاني** كمن لم يطلب بـه ، مـات على شـركه ولو كـان طلبـه لعجـز عنـه ، ففـرق بين عجـز الطـالب وعجـز المُعرض)[166] .

عــدم إعــذار أهــل الفــترة الفاقــدة للحجــة والبرهـان ، دليـل على عـدم الإعـذار في وجـود القرآن والسُنّة من باب أولى :

ـ **قال** الشـيخ عبـد اللطيـف بن عبـد الـرحمن رحمهمـا اللـه تعالى : (ولذلك حكم على المُعينين من المشركين من جاهلية العرب الأميين لوضوح الأدلة ، وظهـور الـبراهين . وفي حـديث المنتفق : ((ما مررت عليه من قبر دوسي أو قُرشي فقل له : إن محمداً يُبشرك بالنار)) . وهـذا وهم أهـل فـترة فكيـف بمن نشـأ من هـذه الأمـة وهـو يسـمع الآيـات القرآنيـة ، والأحـاديث النبويـة ، والأحكـام الفقهيـة في إيجـاب التوحيـد والأمـر بـه ، وتحـريم الشـرك والنهي عنـه ؟ فـإن كـان ممن يقـرأ القـرآن فالأمر أعظم وأطم ، لا سيما إن عاند في إباحة الشـرك ودعـا إلى عبــادة الصــالحين والأوليــاء ، وزعم أنهــا مُســتحبة ، وأن القرآن دلّ عليها ، فهذا كفره أوضح من الشمس في الظهيرة، ولا يتوقف في تكفيره من عرف الإسـلام وأحكامه[167] وقواعـده وتحريره)[168] .

ـ **وقال** الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله : (ولا ريب : أن الله تعالى لم يعـذر أهـل الجاهليـة ، الـذين لا كتـاب لهم ، بهذا الشرك الأكبر ، كما في حديث عياض بن حمار : عن النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم : ((إن اللــه نظـر إلى أهـل الأرض ، فمقتهم عربهم وعجمهم ، إلاَّ بقايا من أهـل الكتـاب)) . فكيـف يعذر أمّـة كتـاب اللـه بين أيـديهم ، يقرؤونـه ويسـمعونه ، وهـو حجة الله على عبـاده ، كمـا قـال تعـالى:{ **هذا بلاغ للنـاس ولينذروا به وليعلموا انما هو إله واحـد وليـذكر أُولـوا الألباب** } [إبراهيم / 52])[169] .

[166] عقيدة الموحدين رسالة : (حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة) ص 184 .
[167] تأمل ذلك ، واعرف جهل من يعذرون عباد القبور في مصر والسودان ، فنعوذ بالله من الضلال .
[168] منهاج التأسيس والتقديس ص 102 .
[169] الدرر السنية 11 / 466 .

الغالب على كل مشرك شبهة عُرضت له اقتضت كفره :

ـ **قال** الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمهما الله : (والغالب على كل مشرك أنه عُرضت له شبهة اقتضت كفره وشركه[170]، قال تعالى : {**لو شاء الله ما أشركنا ولا ءاباؤنا ...**} الآية [الأنعام / 148] ، وقال : {**لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء** } [النحل / 35] ، عُرضت لهم شُبهة القدرية ، فردوا أمره تعالى ودينه وشرعه بمشيئته القدرية الكونية ... والنصارى شبهتهم في القول بالنبوة والأقانيم الثلاثة : كون المسيح خُلق من غير أب ، بل بالكلمة ، فأشتبه الأمر عليهم ، لأنهم عُرِفوا من بين سائرِ الأمم بالبلادة وعدم الإدراك في المسائل الدينية ، فلذلك ظنَّوا أن الكلمة تدرعت في الناسوت ، وأنها ذات المسيح ، ولم يُفرقوا بين الخلق والأمر ، ولم يعلموا أن الخلق يكون بالكلمة ، لا هو نفس الكلمة ، وقد أشار الله إلى شبهتهم وردّها وأبطلها في مواضع من كتابه ، كقوله تعالى : { **إن مثل عيسى عند الله كمثل ءادم** } [آل عمران / 59] ، وقوله : { **وكلِمته ألقاها إلى مريم** } [النساء / 171] . وأكثر أعداء الرُسل عرضت لهم شُبُهات)[171] .

العذر بالخطأ في الشرك الأكبر يلزم منه عدم تكفير طوائف من الكُفار والزنادقة قد أجمعت الأمّة على كفرها وكفر من شك في كُفرِها :

ـ **قال** الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمهما الله : (وهل أوقع الاتحادية والحلولية فيما هم عليه من الكفر البواح والشرك العظيم والتعطيل لحقيقة وجود ربّ العالمين إلاَّ خطؤهم في هذا الباب الذي اجتهدوا فيه ، فضلُّوا وأضلُّوا عن سواء السبيل ؟ وهل قتل الحلاج ـ باتفاق أهل الفتوى على قتله ـ إلاَّ ضلال اجتهاده ؟ وهل كفر القرامطة وانتحلوا ما انتحلوه من الفضائح الشنيعة ، وخلعوا ربقة الشريعة إلاَّ

[170] ليس كل من جاءنا بشبهة عذرناه .
[171] منهاج التأسيس والتقديس ص 102 , 103

باجتهـادهم فيمـا زعمـوا ؟ وهـل قـالت الرافضـة مـا قـالت ، واستباحت مـا اسـتباحت من الكُفـر والشـرك ، وعبـادة الأئمـة الإثني عشر وغيرهم ، ومسبَّة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رضي اللـه عنهُمـا ، إلاَّ باجتهادهم فيما زعموا ! ؟)[172] .

الكفر غير خاصاً بالمعاند بل يشـمل من أرتكب الكفر جاهلاً :

ـ **قال** الشيخ عبد الله أبـو بطين : (وقـال رحمـه اللـه ـ أي شيخ الإسلام ابن تيميه ـ في أثناء كلام له ، قـال ولهـذا قـالوا : من عصـى مسـتكبراً كـإبليس ، كفـر بالاتفـاق ، ومن عصـى مشتهياً لم يكفر عند أهل السُنّة ، ومن فعل المحارم مُستحلاً ، فهو كـافر بالاتفـاق . وقـال : والاسـتحلال : اعتقـاد أنهـا حلال ، وذلك يكون تارةً باعتقاد أن الله لم يحرمها ، وتارةً بعدم اعتقاد أن اللـه حرمهـا ، وهـذا يكـون لخلـل في الإيمـان بالربوبيـه أو الرسالة ، ويكون جحداً محضاً غـير مبـني على مقدمـة ، وتـارة يعلم : أن اللـه حرمهـا ، ثم يمتنـع من الـتزام هـذا التحـريم ويعاند ، فهذا أشد كُفراً ممن قبله ، انتهى . وكلامه رحمـه اللـه في مثل هذا كثير ، فلم يخص التكفير بالمعاند ، مع القطع بـأن أكثر هؤلاء جُهال ، لم يعلموا أن ما قـالوه أو فعلـوه كُفـر ، فلم يُعذروا بالجهل في مثل هذه الأشياء)[173] .

ـ **وقـال** رحمـه اللـه : (فـإن كـان مُـرتكب الشـرك الأكـبر معذوراً لجهله ، فمن الذي لا يُعذر؟! ولازم هـذه الـدعوى : أنـه ليس للـه حجـة على أحـد إلاَّ المعانـد ، مـع أن صـاحب هـذه الدعوى لا يمكنـه طـرد أصـله ، بـل لا بُـد أن يتنـاقض ، فإنـه لا يمكنه أن يتوقف في تكفير من شـك في رسـالة محمـد صـلى الله عليه وسلم ، أو شـك في البعث ، أو غـير ذلـك من أصـول الدين ، والشاك جاهل ، والفقهاء يذكرون في كتب الفقـه حكم المرتد : أنه المسلم الذي يكفر بعـد إسـلامه ، نطقـاً أو فعلاً أو شكاً أو اعتقاداً ، وسبب الشك الجهل . ولازم هذا : أنّا لا نُكفـر

[172] منهاج التأسيس والتقديس ص 218 .
[173] الدرر السنية 10 / 369 , 370 .

جهلة اليهود والنصارى[174] ، والذين يسـجدون للشـمس والقمـر والأصنام لجهلهم ، ولا الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضـي الله عنه بالنار ، لأنّا نقطع أنهم جُهـال ، وقـد أجمـع المسـلمون على كفر من لم يُكفر اليهـود والنصـارى أو شـك في كُفـرهم ، ونحن نتيقن أن أكثرهم جهال .

الأدلـة على عـدم العـذر بالجهـل في أصـل الدين :

ـ **ثم قال** رحمه الله : وقال الشيخ تقي الـدين رحمـه اللـه تعـالى : من سـب الصـحابة رضـوان اللـه عليهم ، أو واحـداً منهم ، واقترن بسبه دعوى أن علياً إله أو نـبي ، أو أن جبريـل غلط ، فلا شك في كفر هذا ، بل لا شـك في كفـر من توقـف في تكفيره . قال : ومن زعم أن الصحابة ارتـدوا بعـد رسـول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم ، إلاَّ نفـراً قليلاً لا يبلغـون بضـعة عشر ، أو أنهم فسقوا ، فلا ريب في كفر قائل ذلـك ، بـل من شك في كفره فهو كافر[175] . قال : ومن ظن أن قوله تعالى : {**وقضى ربُك ألاَّ تعبدوا إلاَّ إياه** } [الإسراء / 23] بمعنى قدّر ، وأن الله سبحانه ما قدّر شيئاً إلاَّ وقع ، وجعل عبدة الأصنام ما عبدوا إلاَّ الله ، فإن هذا من أعظم الناس كفراً بـالكتب كلهـا ، انتهى .

ولا ريب : أن أصحاب هذه المقالة ، أهل علم وزهد وعبادة ، وأن سبب دعواهم هذه ، الجهل . وقد أخـبر اللـه سـبحانه عن الكفار : أنهم في شك ممـا تـدعوهم إليـه الرسـل ، وأنهم في شك من البعث ، وقـالوا لرسـلهم : { **وإنا لفي شـك ممـا تدعوننا إليه مـريب** } [إبــراهيم / 9] ، وقـال تعـالى : { **وإنهم لفي شك منه مريب** } [هود / 110] ، وقال تعالى إخباراً عنهم : { **إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين** } [الجاثيــة / 32] ، وقال تعالى عن الكُفار : { **إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسـبون أنهم مهتـدون** } [الأعــراف / 30] ،

[174] أنتبه لهذا الإلزام الخطير .
[175] شيخ الإسلام ابن تيميه لا يعذر بالجهل ، وهذه عبارات واضحة وبينه ولم يستثني الجاهل ، وما نُقل عنه أنه يعذر الجهمية ولا يُكفرهم ، فهذا في مسألة الأسماء والصفات وفي المسائل الخفية ، أما الأمور الظاهرة مثل دعاء الأولياء أو الطواف بالقبور ، أو الذبح لغير الله ، فهذه لا يعذر فيها ابن تيميه ، وعلى العموم مرجعنا الكتاب والسنة ، وابن تيميه وغيره من العلماء ليسوا معصومين .

وقـال تعـالى : { **قـل هـل نُنـبئكم بالأخسـرين أعمـالا الذين ضل سـعيهم في الحيـاة الـدُنيا وهم يحسـبون أنهم يحسـنون صـنعا** } [الكهــف / 103 ,ــ 104] . ووصـفهم اللـه سبحانه بغاية الجهل ، كما في قوله تعالى : { **لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضـل أولئـك هم الغافلون** } [الأعــراف / 179] . وقد ذم الله المقلـدين ، بقولـه عنهم : { **إنا وجدنا آباءنـا على أمّـة وإنـا على آثـارهم مهتدون** } الآيتين [الزخرف / 22 , 23] ، ومع ذلك كفرهم ...

قال الشيخ موفق الدين : أبو محمد بن قدامـة ، رحمـه اللـه تعالى لما أنجز كلامه : هل كـل مجتهـد مُصـيب ؟ ورجح قـول الجمهور ، أنه ليس كـل مجتهـد مُصـيب ، بـل الحـق في قـول واحد من أقـوال المجتهـدين . قـال : وزعم الجاحـظ : أن من خالف ملّـة الإسـلام ، إذا نظـر فعجـز عن إدراك الحـق ، فهـو معـذور غـير آثم ، إلى أن قـال : أمـا مـا ذهب إليـه الجاحـظ فباطـل يقينـاً ، وكفـر باللـه وردّ عليـه وعلى رسـوله ، فنعلم قطعاً : أن النبي صلى الله عليه وسلم أمـر اليهـود والنصـارى بالإسـلام وإتباعـه ، وذمهم على الإصـرار ، وقـاتلهم جميعهم ، يقتـل البـالغ منهم ؛ ونعلم : أن المعانـد العـارف ممن يقـل ، وإنما الأكـثر مُقلـدة اعتقـدوا دين آبـائهم تقليـداً ، ولم يعرفـوا معجزة الرسول وصدقه . والآيات الدالة في القرآن على هــذا كثيرة ، كقوله تعالى : { **ذلك ظن الذين كفروا** } الآية [ص / 27] ، وقوله : { **وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم** } الآية [فصـلت / 23] ، وقوله : { **إنهم إلاَّ يظنون** } [الجاثيـة / 24] ، وقوله : { **ويحسبون أنهم على شيء**} [المجادلة / 18] ، وقوله : { **ويحسبون أنهم مهتدون** } [الزخرف / 37] ، وقوله : { **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الـدُنيا وهم يحسـبون أنهم يحسـنون صـنعاً** } الآية [الكهف / 103 , 104] ، وفي الجملة : ذم المكذبين للرسول مما لا ينحصر في الكتاب والسنّة ، انتهى .

والعلماء يذكرون : أن من أنكر وجـوب عبـادة من العبـادات الخمس ، أو قال في واحدة منها إنها سنّة لا واجبـة ، أو جحـد حلّ الخبز ، ونحوه ، أو جحد تحريم الخمر ونحوه ، أو شك في ذلك ومثله لا يجهله كفر ، وإن كان مثلـه يجهلـه عُـرِّف ، فـإن أصرَّ بعد التعرِّيـف كفـر ، وقتـل ؛ ولم يقولـوا : فـإذا تـبين لـه الحق وعاند كفـر . وأيضـاً : فنحن لا نعـرف أنـه مُعانـد ، حـتى يقول : أنا أعلم أن ذلك حق ولا ألتزمه ، ولا أقوله وهذا لا يكاد يوجد . وقد ذكر العلماء من أهل كل مـذهب ، أشـياء كثـيرة لا يمكن حصـرُها ، من الأقـوال ، والأفعـال ، والاعتقـادات : أنـه يكفر صاحبها ، ولم يُقيدوا ذلك بالمعاند ، فالمدعي أن مرتكب الكُفـر متـأولاً ، أو مجتهـداً ، أو مخطِـأً ، أو مقلـداً أو جـاهلاً ، معذور ، مخالف للكتاب والسنة ، والإجمـاع بلا شـك ، مـع أنـه لابُدّ أن ينقض أصله ، فلـو طـرد أصـله كفـر بلا ريب ، كمـا لـو توقف في تكفير من شك في رسالة محمـد صـلى اللـه عليـه وسلم ، ونحو ذلك)[176] .

الشبهة التي يستدل بها دائماً المخالفون :

ـ **قال** الشيخ عبد الله بن عبد الـرحمن أبـو بطين : (واحتج بعض من يُجادل عن المشركين ، بقصة الذي قد أوصـى أهلـه أن يُحرقوه بعد موته ، على أن من أرتكب الكفر جاهلاً لا يكفر ، ولا يكفر إلاَّ المُعاند .

والجواب على ذلك كله : أن الله سبحانه وتعـالى أرسـل رسله مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حُجة بعد الرُسل ، وأعظم ما أُرسلوا به ودعوا إليه : عبادة الله وحده لا شريك له ، والنهي عن الشـرك الـذي هـو عبـادة غـيره ، فـإن كـان مُـرتكب الشـرك الأكـبر معـذوراً لجهلـه ، فمن الـذي لا يُعذر ؟! ... وأما الرجـل الـذي أوصـى أهلـه أن يُحرِّقـوه ، وأن الله غفر له مع شكه في صفة من صفات الرب تبارك وتعالى ، فإنما غفر له لعدم بلوغ الرسالة له ، كـذلك قـال غـير واحـد من العلماء ؛ ولهذا قال الشيخ تقي الدين : من شك في صفة من صفات الرب تعالى ، ومثله لا يجهله كفر ، وإن كـان مثلـه

[176] الدرر السنية 12 / 69 _ 73 .

يجهله لم يكفر ، قال : ولهذا لم يُكفِّر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الشاك في قُدرة الله تعالى ، لأنه لا يكفر إلاَّ بعد بلوغ الرسالة ، وكذلك قال أبن عقيل ، وحمله على أنه لم تبلغه الدعوة . واختار الشيخ تقي الدين في الصفات : أنه لا يكفر الجاهل ، وأما في الشرك ونحوه فلا ، كما ستقف على بعض كلامه إن شاء الله تعالى ، وقد قدمنا بعض كلامه في الاتحادية وغيرهم ، وتكفيره من شك في كفرهم . قال صاحب اختياراته : والمُرتد من أشرك بالله ، أو كان مُبغضاً لرسوله صلى الله عليه وسلم ، أو لما جاء به ، أو ترك إنكار كُل منكر بقلبه[177] ، أو توهم أن من الصحابة من قاتل مع الكُفار ، أو أجاز ذلك ، أو أنكر فرعاً مجمع عليه إجماعاً قطعياً ، أو جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم ، كفر إجماعاً . ومن شك في صفة من صفات الله تعالى ، ومثله لا يجهلها فمرتد ، وإن كان مثله يجهلها فليس بمرتد[178] ، ولهذا لم يُكفر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الشاك في قدرة الله ، فأطلق فيما تقدم من المكفرات ، وفرق في الصفة بين الجاهل وغيره ، مع أن رأي الشيخ : أن التوقف في تكفير الجهمية ونحوهم ، خلاف نصوص أحمد وغيره من أئمة الإسلام . قال المجد رحمه الله تعالى : كل بدعة كفرنا فيها الداعية ، فإنا نُفسق المُقلد فيها ، كمن يقول : بخلق القرآن ، أو أن علم الله مخلوق ، أو أن أسمائه مخلوقة ، أو أنه لا يُرى في الآخرة ، أو يسب الصحابة رضي الله عنهم تديناً ، أو أن الإيمان مُجرد الاعتقاد ، وما أشبه ذلك ، فمن كان عالماً في شئ من هذه البدع يدعوا إليه ، ويناظر عليه ، محكوم بكفره نص أحمد على ذلك في مواضع ، انتهى . فأنظر كيف حكم بكفرهم مع جهلهم)[179] .

ـ **قال** الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله : (وحديث الرجل الذي أمر أهله بتحريقه كان موحداً ليس من أهل الشرك ، فقد ثبت من طريق أبي كامل ، عن حماد عن

177 أنتبه لذلك يا أخا التوحيد .

178 ابن تيميه لا يُكفر الجاهل بالصفات .

179 الدرر السنية 12 / 68 _ 74 .

ثابت عن أبي رافـع عن أبي هريـرة ((لم يعمـل خـيراً قـط إلاَّ التوحيد))[180] ، فبطل الاحتجاج به في مسألة النـزاع)[181] .

* * * * *

[180] أنتبه لذلك .
[181] منهاج التأسيس والتقديس ص 218 .

الفصل السادس : قيام الحُجة[182]

ـ **قال** الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم . إلى الإخوان ، سلام عليكم ورحمه الله وبركاته .

وبعد : ما ذكرتم من قول الشيخ ، كل من جحد كذا وكذا ، وقامت عليه الحُجة ؛ وأنكم شاكون في هؤلاء الطواغيت وأتباعهم ، هل قامت عليهم الحُجة ، فهذا من العجب ، كيف تشكون في هذا وقد أوضحته لكم مراراً ؟! فإن الذي لم تقم عليه الحجة ، هو الذي حديث عهد بالإسلام ، والذي نشأ ببادية بعيدة ، أو يكون ذلك في مسألة خفية ، مثل الصرف والعطف ، فلا يكفر حتى يُعرَّف . وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه ، فإن حُجة الله هي القرآن ، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحُجة[183] ، ولكن أصل الإشكال ، أنكم لم تُفرقوا بين قيام الحُجة ، وبين فهم الحُجة[184] ، فإن أكثر الكفار والمنافقين من المسلمين ، لم يفهموا حُجة الله مع قيامها عليهم ، كما قال تعالى : { **أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلاَّ كالأنعام بل هم أضل سبيلا** } [الفرقان / 44]ـ . وقيام الحُجة نوع ، وبلوغها نوع ، وقد قامت عليهم ، وفهمهم إياها نوع آخر ، وكفرهم ببلوغها إياهم ، وإن لم يفهموها ، إن أشكل عليكم ذلك ، فانظروا قوله صلى الله عليه وسلم في الخوارج : ((أينما لقيتموهم فاقتلوهم)) وقوله : ((شر قتلى تحت أديم السماء)) مع كونهم في عصر الصحابة ، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم ، ومع إجماع الناس : أن الذي أخرجهم من الدين ، هو التشدد والغلو والاجتهاد ، وهم يظنون أنهم يُطيعون الله ، وقد بلغتهم الحُجة ، ولكن لم يفهموها . وكذلك قتل علي رضي الله عنه

[182] المراد بقيام الحجة ليس إثبات وصف الكفر لمن تلبس به ، ولكن لاستحقاق العذاب يوم القيامة .

[183] من منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنه لا يعذر في المسائل الظاهرة ، مثل الطواف ، والسجود ، والدعاء ، والذبح ، والحكم بغير الشرع ، إلاَّ حديث عهد بالإسلام ، أو رجل نشأ ببادية بعيدة عن الإسلام ، ولا يعذر إلاَّ في المسائل الخفية ، حيث لا يُكفر من فعلها حتى يُقيم عليه الحجة ، وبذلك يتبين لك ضلال من يعذر في المسائل الظاهرة . وأما من مات على الشرك حتى ولو لم يبلغه الإسلام فهو مشرك ، ولا يُسمى مسلم بالإجماع ، هذا حكمه في الدنيا ، والخلاف هل يُعذب يوم القيامة ؟ والصحيح أنه لا يُعذب لقوله سبحانه : { **وما كُنا معذبين حتى نبعث رسولا** } ، فإن الله لا يُعذب أحداً يوم القيامة حتى يُقيم عليه الحجة ، وحكمه في الدنيا أنه مشرك ، وحكمه في الدنيا شيء وفي الآخرة شيء آخر ، فأنتبه يا طالب الحق .

[184] وفهم الحجة شيء وقيامها شيء آخر ، ويغلط في ذلك كثير من طلاب العلم ، لأن فهم أبو بكر وعمر غير فهمي وفهمك ، وهذا فرق شاسع وواضح ، إذ لا يُشترط فهم الحجة .

الـذين اعتقـدوا فيـه ، وتحـريقهم بالنـار ، مـع كـونهم تلاميـذ الصحابة ، ومع عبادتهم وصلاتهم وصيامهم ، وهم يظنـون أنهم على حق . وكذلك إجمـاع السـلف : على تكفـير غُلاة القدريـة وغيرهم ، مع علمهم وشدة عبـادتهم ، وكـونهم يحسـبون أنهم يحسـنون صـنعاً ، ولم يتوقـف أحـد من السـلف في تكفـيرهم لأجـل كـونهم لم يفهمـوا ، فـإن هـؤلاء كلهم لم يفهمـوا ، إذا علمتم ذلك : فـإن هـذا الـذي أنتم فيـه كُفـر ، النـاس يعبـدون الطواغيت ويُعـادون دين الإسـلام ، فـيزعمون أنـه ليس ردّة ، لعلهم ما فهمـوا الحُجـة ، كـل هـذا بيّن . وأظهـر ممـا تقـدم : الذين حرقهم علي ، فإنه يُشابه هذا)[185] .

ـ **قال** الشيخ إسحاق بن عبـد الـرحمن رحمـه اللـه تعـالى : (فتأمل كلام الشـيخ ـ أي الشـيخ محمـد بن عبـد الوهـاب ـ ، ونسـأل اللـه أن يرزقـك الفهم الصـحيح ، وأن يُعافيـك من التعصـب . وتأمـل كلام الشـيخ رحمـه اللـه أن كـل من بلغـه القرآن فقد قامت عليه الحجة وإن لم يفهم ذلـك وجعلُـه هـذا هو السبب في غلط من غلط وأن جعل التعريف في المسائل الخفية ، ومن حكينا عنه جعل التعريف في أصل الدين ، وهـل بعد القـرآن والرسـول تعريـف ؟ ثم يقـول هـذا اعتقادنـا نحن ومشايخنا ، نعوذ بالله من الحور بعـد الكـور . وهـذه المسـألة كثيرة جداً في مصنفات الشيخ رحمه اللـه ، لأن علمـاء زمانـه من المشركين ينازعون في تكفير المُعين ، فهذا شرح حـديث عمرو بن عبسة من أولـه إلى آخِـره كلـه في تكفـير المُعين ، حتى أنه نقل فيه عن شيخ الإسـلام أبن تيميـه رحمـه اللـه أن من دعا علياً فقد كفر ، ومن لم يُكفره فقد كفر ، وتـدبر مـاذا أودعه من الدلائل الشرعية التي إذا تـدبرها العاقـل المنصـف فضلاً عن المؤمن عرف أن المسألة وِفاقية ولا تُشكل إلاَّ على مدخول عليه في اعتقاده)[186] .

ـ **وقال** رحمه الله : (ثم قـال الشـيخ رحمـه اللـه تعـالى ـ محمد بن عبد الوهاب ـ في تلك الرسالة بعدما ذكـر كـثرة من أرتد عن الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، كالذين في

[185] الدرر السنية 10 / 93 _ 95 .
[186] عقيدة الموحدين ، رسالة : (حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة) ص 178 .

زمن أبي بكـر رضـي اللـه عنـه حكمـوا عليهم بـالردة بمنـع الزكاة ، وكأصحاب علي وأهل المسجد الـذين بالكوفـة ، وبنـو عُبيد القـدّاح ، كـل هـؤلاء حكمـوا عليهم بـالردّة بأعيـانهم ، ثم قال : وأما عبارة شيخ الإسلام أبن تيميه التي لبسوا بها عليـك فهي أغلـظ من هـذا كلـه ، ولـو نقـول بهـا لكفرنـا كثـيراً من المشاهير بأعيانهم ، فإنه صرح فيهـا : بـأن المُعين لا يكفـر إلاّ إذا قامت عليه الحُجة ، فإذا كان المُعين يكفر إذا قـامت عليـه الحُجة ، فمن المعلوم أن قيامهـا ليس معنـاه أن يفهم[187] كلام الله ورسوله مثل أبي بكر الصـديق رضـي اللـه عنـه ، بـل إذا بلغه كلام الله ورسوله وخلا عن ما يُعذر به ، فهو كـافر ، كمـا كان الكفـار كلهم تقـوم عليهم الحجـة بـالقرآن مـع قـول اللـه تعالى : { **إنا جعلنـا على قلـوبهم أكنـةً أن يفقهـوه** } [الكهف / 57])[188] .

ـ **وقال** رحمـه اللـه : (ومسـألتنا هـذه وهي : عبـادة اللـه وحده لا شريك لـه ، والـبراءة من عبـادة مـا سـواه ، وأن من عبد مع الله غيره فقد أشـرك الشـرك الأكـبر الـذي ينقـل عن الملّة هي أصل الأصول ، وبها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ، وقامت على الناس الحُجة بالرسـول والقـرآن ، وهكـذا تجـد الجواب من أئمة الدين في ذلك الأصل عند تكفـير من أشـرك بالله ، فإنه يستتاب فإن تـاب وإلاَّ قُتـل ، لا يـذكرون التعريـف في مسـائل الأصـول ، إنمـا يـذكرون التعريـف في المسـائل الخفية التي قد يخفى دليلها على بعض المسـلمين ، كمسـائل نازع بها بعض أهل البـدع كالقدريـة والمرجئـة ، أو في مسـألة خفية : كالصرف والعطف ، وكيـف يُعرِّفـون عُبـاد القبـور وهم ليسوا بمسلمين ولا يدخلون في مسمى الإسـلام ، وهـل يبقى مع الشرك عمل واللـه تعـالى يقـول : { **ولا يدخلون الجنَّة حتى يلج الجمل في سَمّ الخياط** } [الأعراف / 40] ... إلى غير ذلك من الآيات ، ولكن هذا المعتقـد يلـزم منـه معتقـد قـبيح ،

[187] المراد من فهم كلام الله هنا أن يتفطن العبد إلى مراد الله من الدليل ، ويستوعب وجه الاستدلال منـه ، وليس المقصـود أن يفهم دلالة الألفاظ ويدرك معانيها ، أي : البيان .قال الله تعالى : { **وما أرسلنا من رسول إلاَّ بلسـان قومـه ليـبين لهم** } [إبراهيم / 4] .
والدليل على ذلك ، أن القرآن لو قُرء كاملاً على أعجمي بدون تُرجمان ، لم نُقِم عليه الحجة بيقين .

[188] عقيدة الموحدين ، رسالة : (حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة) ص 173 .

وهـو أن الحُجـة لم تقم على هـذه الأمّـة بالرسـول والقـرآن ، نعـوذ باللـه من سـوء الفهم الـذي أوجب لهم نسـيان الكتـاب والرسول)[189] .

ـ **وقال** الشيخ سليمان بن سـحمان : (قـال شـيخنا الشـيخ عبـد اللطيـف رحمـه اللـه : وينبغي أن يُعلم الفـرق بين قيـام الحجة وفهم الحجة ، فإن من بلغته دعوة الرسـل فقـد قـامت عليه الحجة إذا كان على وجـه يمكن معـه العلم ، ولا يُشـترط في قيـام الحجـة أن يفهم عن اللـه ورسـوله مـا يفهمـه أهـل الإيمان والقبول والانقيـاد لمـا جـاء بـه الرسـول ، فـأفهم هـذا يكشف عنك شبهات كثيرة في مسألة قيام الحجة ، قـال اللـه تعالى : { **أم تحسب أن أكثرهم يسـمعون أو يعقلـون إن هم إلاَّ كالأنعام بل هم أضـل سـبيلا** } [الفرقــان / 44] ، وقال تعالى : { **ختم الله على قلـوبهم وعلى سـمعهم وعلى أبصارهم غِشاوة ولهم عذابٌ عظيم** } [البقرة / 7] ، انتهى .

قلت : ومعنى قوله رحمه اللـه تعـالى : إذا كـان على وجـه يمكن معه العلم ، **فمعناه** : أن لا يكون عديم العقل والتمييز كالصـغير والمجنـون ، أو يكـون ممن لا يفهم الخطـاب ، ولم يحضر ترجمان يُـترجم لـه ، ونحـو هـؤلاء . فمن بلغتـه رسـالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبلغه القرآن فقـد قـامت عليـه الحُجة)[190] .

ــ **وقـال** عبـد اللـه وإبـراهيم أبنـاء الشـيخ عبـد اللطيـف وسليمان بن سحمان : (وأما قوله : ـ أي أحـد المجـادلين عن المشركين ــ وهؤلاء مـا فهمـوا الحجـة ؛ فهـذا ممـا يـدل على جهله ، وأنه لم يُفرق بين فهم الحجة ، وبلوغ الحجة ، ففهمهـا نــوع وبلوغهــا نــوع آخــر ، فقــد تقــوم الحجــة على من لم يفهمها)[191] .

ـ **وقال** الشيخ محمد بن ناصر بن معمـر : (فكـل من بلغـه القرآن فليس بمعذور ، فإن الأصول الكبار التي هي أصل دين

[189] عقيدة الموحدين ، رسالة : (حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة) ص 171 .
[190] كشف الشبهتين ص 91 .
[191] الدرر السنية 10 / 433 .

الإسلام ، قد بينها الله ووضحها وأقام بها الحجـة على عبـاده ، وليس المراد بقيام الحجة أن يفهمها الإنسان فهماً جلّياً ، كمـا يفهمها من هداه اللـه ووفقـه وأنقـاد لأمـره ، فـإن الكفـار قـد قامت عليهم حجة الله مع إخباره بأنه جعل على قلـوبهم أكنـةً أن يفقهوا كلامه ، فقال : { **وجعلنا على قلوبهم أكنةً أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً** } [الأنعام / 25] ... والآيات في هذا المعـنى كثـيرة ، يخـبر سـبحانه أنهم لم يفهمـوا القـرآن ولم يفقهـوه وأنـه عـاقبهم بجعـل الأكنـةً على قلـوبهم والـوقر في آذانهم وأنـه ختم على قلـوبهم ، وأسـماعهم وأبصـارهم ، فلم يعذرهم مع هذا كله بل حكم بكفرهم)[192] .

ـ **وقال** الشيخ عبد الله أبا بطين معلقاً على قول ابن تيميـه في معرض ردّه على الذي يدعي أن شـيخ الإسـلام ابن تيميـه وابن القيم يقولان أن من فعل هذه الأشياء ـ أي الشـرك ـ لا يطلق عليه أنه كافر مُشرك حتى تقـوم عليـه الحجـة ، قـال : (إن من فعل شيئاً من هذه الأمور الشركية لا يطلق عليه أنـه كافر مشرك حتى تقوم عليـه الحجـة الإسـلامية فهـو لم يقـل ذلك في الشرك الأكبر وعبادة غـير اللـه ، ونحـوه من الكفـر ، وإنما قال هذا في المقالات الخفية كما قدمنا من قوله (وهذا إذا كان في المقالات الخفية ، فقد يُقـال لم تقم عليـه الحجـة التي يكفر صاحبها) فلم يجـزم بعـدم كفـره وإنمـا قـد يُقـال ، وقوله : (قد يقع ذلك في طوائف منهم يعلم العامة والخاصـة بـل اليهـود والنصـارى يعلمـون أن محمـداً بُعِث بهـا وكفَّر من خالفها من عبادة اللـه وحـده لا شـريك لـه ، ونهيـه عن عبـادة غيره ، فإن هذا أظهر شعائر الإسلام) يعـني فهـذا لا يمكن أن يُقال لم تقم عليه الحُجة التي يكفر تاركها)[193] .

ـ **وقال** شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله : (فكل من بلغه القرآن من إنسي وجني ، فقد أنذره الرسول به)[194] .

ـ **وقال** : (وقـال تعـالى : { **أفلا يتـدبرون القـرآن أم على قلـوبٍ أقفالها** } [محمـد / 24] ، وقـال تعـالى : { **أفلم**

[192] النبذة الشريفة النفيسة في الردّ على القبوريين .
[193] مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج 4 القسم الثاني ص 474 , 475 .
[194] مجموع الفتاوى 16 / 149 .

يدَّبروا القول أم جآءهم ما لم يأتِ ءابآءهم الأولين } [المؤمنــون / 68] ، وقال تعـالى : { **أفلا يتدبرون القـرآن ولـو كان من عند غير اللـه لوجـدوا فيـه اختلافـاً كثـيراً** } [النســاء / 82] ، فإذا كان قد حض الكفار والمنـافقين على تـدبره . علم أن معانيـــه ممـــا يمكن الكفـــار والمنـــافقين فهمهـــا ومعرفتها)[195] .

ـ **وقال** رحمه الله : (فآياته سبحانه توجب شيئين :

أحدهما : فهمهـا وتـدبرها ، ليعلم مـا تضـمنته . **والثاني** : عبادتـه ، والخضـوع لـه إذا سُـمِعت ، فتلاوتـه إياهـا وسـماعها يوجب هذا وهذا ، فلو سمعها السامع ولم يفهمها كان مذموماً ، ولو فهمها ولم يعمل بما فيها كان مذموماً ، بل لابُدّ لكل أحد عند سماعها من فهمها والعمل بها ، كما أنه لابُدّ لكل أحـد من إستماعها ، فالمعرض عن استماعها كافر ، والـذي لا يفهم مـا أُمِر بـه فيهـا كـافر . والـذي يعلم مـا أمِـر بـه فلا يُقـرّ بوجوبـه ويفعله كافر . وهو سبحانه يذم الكفار بهذا ، وهذا)[196] .

ـ **ويقول** أبن القيم رحمه اللـه تعـالى في قولـه تعـالى : { **وقالوا لـو كنـا نسـمع أو نعقـل مـا كُنـا في أصـحاب الجحيم** } : (فهذا السمع المنفيّ عنهم سمع الفهم والفقه ، وقوله تعالى : { **ولو علم الله فيهم خـيراً لأسـمعهم** } أي لأفهمهم ، والسـمع هنـا سـمع فهم ، وإلاّ فسـمع الصـوت حاصل لهم ، وبه قامت حجة الله عليهم)[197] .

ــ **وقـال** عبـد اللـه وإبـراهيم أبنـاء الشـيخ عبـد اللطيـف وسـليمان بن سـحمان : (وأمـا قولـه ــ أحـد المجـادلين عن المشركين ـ عن الشيخ : محمد ، رحمـه اللـه إنـه لا يُكفـر من كان على قبة الكواز ، ونحوه ، ولا يُكفر الوثني حـتى يـدعوه ، وتبلغه الحُجة ، فيقال : نعم ؛ فإن الشيخ محمداً رحمـه اللـه ، لم يُكفر الناس ابتداءً ، إلاَّ بعد قيـام الحجـة ، والـدعوة ، لأنهم إذ ذاك في زمن فـترة ، وعـدم علم بآثـار الرسـالة ، ولـذلك

[195] مجموع الفتاوى 5 / 158 .
[196] مجموع الفتاوى 23 / 147 .
[197] مفتاح دار السعادة 1 / 81 _ 105 .

قال : لجهلهم وعدم من ينبههم ، فأما إذا قامت الحجة ، فلا مانع من تكفيرهم وإن لم يفهموها)[198] .

ـ **وقال** الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن رحمه الله : (بل أهل الفترة الذين لم تبلغهم الرسالة والقرآن وماتوا على الجاهلية لا يُسمون مسلمين بالإجماع ، ولا يُستغفر لهم ، وإنما اختلف أهل العلم في تعذيبهم في الآخرة)[199] .

ـ **وقال** رحمه الله : (والله يقضي بين عباده يوم القامة بعدله وحكمته ولا يُعذب إلاَّ من قامت عليه حجته بالرسل ، فهذا مقطوع به في جُملة الخلق ، وأما كون زيد بِعينه وعمرو قامت عليه الحجة أم لا ، فذلك مما لا يمكن الدخول بين الله وعباده فيه ، بل الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر ، وأن الله تعالى لا يُعذب أحداً إلاَّ بعد قيام الحجة عليه بالرسول ، هذا في الجملة ، والتعيين موكول إلى علم الله وحكمه ، هذا في أحكام الثواب والعقاب ، وأما أحكام الدنيا فهي جارية على ظاهر الأمر)[200] .

ـ **وقال** الشيخان حسين وعبد الله أبناء محمد بن عبد الوهاب رحم الله الجميع : (من مات من أهل الشرك ، قبل بلوغ هذه الدعوة ، فالذي يُحكم عليه أنه إذا كان معروفاً بفعل الشرك ويُدين به ، ومات على ذلك ،فهذا ظاهره أنه مات على الكُفر ، ولا يُدعى له ، ولا يُضحى له ، ولا يُتصدق عليه ، وأما حقيقة أمره فإلى الله تعالى ، فإن كان قد قامت عليه الحجة في حياته وعاند ، فهذا كافر في الظاهر والباطن ، وإن كان لم تقم عليه الحجة فأمره إلى الله تعالى)[201] .

ــ **وقال** عبد الله وإبراهيم أبناء الشيخ عبد اللطيف وسليمان بن سحمان رحمهم الله جميعاً : (**وأما قوله** : (نقول بأن القول كفر ، ولا نحكم بكفر القائل) ؛ فإطلاق هذا جهل صرف ، لأن هذه العبارة لا تنطبق إلاَّ على المُعين ، ومسألة تكفير المُعين مسألة معروفة ، إذا قال قولاً يكون القول به كفراً ، فيقال : من قال بهذا القول فهو كافر ، لكن

[198] الدرر السنية 10 / 434 , 435 .
[199] عقيدة الموحدين ، رسالة : (حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة) ص 171 .
[200] عقيدة الموحدين ، رسالة : (حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة) ص 184 , 184 .
[201] الدرر السنية 10 / 142 .

الشخص المُعين ، إذا قـال ذلـك لا يُحكم بكفـره ، حـتى تقـوم عليه الحجة التي يكفر تاركها .
وهذا في المسائل الخفية ، التي قد يخفى دليلهـا على بعض الناس ، كما في مسائل القدر والإرجاء ونحو ذلـك ممـا قالـه أهل الأهواء ، فإن بعض أقوالهم تضمن أمـوراً كُفريـة ، من ردّ أدلة الكتاب والسنة المتواترة ، فيكـون القـول المتضـمن لـرد بعض النصوص كفراً ، ولا يُحكم على قائلـه بـالكفر ، لاحتمـال وجـود مـانع كالجهـل ، وعـدم العلم بنقض النص ، أو بدلالتـه ، فإن الشرائع لا تلزم إلاَّ بعد بلوغها)[202] .
ـ **وقال** الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن : (وأما كلام الشـيخ عبـد اللطيـف بن عبـد الـرحمن رحمـه اللـه تعـالى على هـذه المسـألة فكثـير جـداً ، فنـذكر من ذلـك شـيئاً يسـيراً ، لأن المسألة وفاقية والمقام مقام اختصار ، فلنذكر من كلامـه مـا يُنبهك على الشبه التي أستدل بها من ذكرنا في الذي يعبد قبة الكـواز ، وأن الشـيخ توقـف في تكفـيره ، ونـذكر أولاً مسـاق الجواب وما الذي سيق لأجلـه ، وهـو أن الشـيخ محمـد رحمـه الله ومن حكى عنه هذه القصة يذكرون ذلك معذرة له عن ما يدعيه خصومه عليـه من تكفـير المسـلمين ، وإلاَّ فهي نفسـها دعوى لا تصلح أن تكون حجة ، بل تحتاج إلى دليل وشاهد من القرآن والسنة ، ومن فتح الله بصـيرته وعـوفي من التعصـب وكان ممن اعتنى ببيان هذه المسألة بياناً شافياً ، وجزم بكفـر المُعين في جميع مصنفاته ، ولا يتوقف في شيء منها)[203] .
ـ **وقال** رحمه الله : (وقد ذكر الشيخ سليمان بن عبد اللـه رحمه الله تعـالى في شـرح التوحيـد في مواضـع منـه أن من تكلم بكلمة التوحيد وصلى وزكى ، ولكن خـالف ذلـك بأفعالـه وأقواله من دعاء الصـالحين والاسـتغاثة بهم والـذبح لهم ، أنـه شـــبيه بـــاليهود والنصـــارى في تكلمهم بكلمـــة التوحيـــد ومخالفتهم ، فعلى هذا يلـزم من قـال بـالتعريف للمشـركين : أن يقـــول بـــالتعريف بـــاليهود والنصـــارى في تكلمهم بكلمـــة التوحيـــد ومخالفتهـــا ، فعلى هـــذا يلـــزم من قـــال بـــالتعريف

[202] الدرر السنية 10 / 432 , 433 .
[203] عقيدة الموحدين ، رسالة : (حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة) ص 179 .

للمشركين أن يقول بالتعريف باليهود والنصارى ، ولا يكفـرهم إلاَّ بعد التعريف ، وهذا ظاهر بالاعتبار جداً)[204] .

* * * * *

[204] عقيدة الموحدين ، رسالة : (حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة) ص 178 .

الفصل السابع : إظهـار الـدين المـبيح للإقامة بين أظهر المشركين

ـ **قال** الشـيخ إسـحاق بن الشـيخ عبـد الـرحمن بن حسـن رحمهم الله تعالى : (ولو كان إظهار الدين هـو أداء الواجبـات البدنية فقط ـ كما فهم المُجيز ـ لمـا طـابق مقتضـى الحـال ، وحاشا الأئمة من ذلك ؛ فالفهم فاسد والمحصل فاسد ؛ نعم : لو سلمنا أن إظهار الدين هو أداء الواجبات ، فأوجب الواجبات : التوحيد وما تضـمنه ، وهـو أوجب من الصـلاة وغيرهـا ، وهـو الـذي مـا زالت الخصـومة فيـه ، وهـذا اللفـظ يصـدق عليـه . فإظهاره هو الإعلان بمباينـة المعتقـد ، والبعـد عن ضـده ، دع الدعوة إليه فإنه أمر وراء ذلك ، فلو أستقل الحكم بمـا زعمـه المُجيز ـ هداه الله ـ من أن العلّة عـدم المنـع من العبـادة ، لبقيت نصوص الشارع عديمة الفائـدة ، لأنـه لا يُمنـع أحـد من فعل العبادات الخاصة في أكثر البلاد ، فبطل ما زعمه وسقط ما فهمه . قال شيخنا العلامة : عبد اللطيـف ، رحمـه اللـه في بعض رسائله : قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب . رحمه الله في المواضع التي نقلها من السيرة : فإنه لا يستقيم للإنسان إسلام ـ ولو وحد الله وترك الشرك ــ إلاَّ بعـداوة المشـركين ، والتصريح لهم بالعداوة والبغضـاء .قـال : فـأنظر إلى تصـريح الشـيخ ، بـأن الإسـلام لا يسـتقيم إلاَّ بالتصـريح لهم بالعـداوة والبغضاء ، وأين التصريح من هؤلاء المسافرين ؟! والأدلـة من الكتاب والسنة ظـاهرة متـواترة على مـا ذكـره الشـيخ ، وهـو موافق لكلام المتـأخرين في إباحـة السـفر لمن أظهـر دينـه ، ولكن الشـأن كـل الشـأن في إظهـار الـدين ، وهـل اشـتدت العـداوة بينـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ، وبين قـريش إلاَّ لمـا كافحهم بسبب دينهم ، وتسفيه أحلامهم ، وعيب آلهتهم ...

فأنظر إلى قوله : وأنـه لا يسـتقيم الإسـلام إلاَّ بالتصـريح بالعداوة ، يعني : أن الإسلام ناقص وصاحبه مُعـرض للوعيـد ؛ وأنظر إلى قوله : والأدلة عليه من الكتـاب والسـنّة متـواترة ، أيّ على وجـوب التصـريح ، وإلاَّ فالعـداوة لا يخلـوا منهـا من يؤمن بالله ورسوله ، ففرق بين العداوة وإظهار العداوة)[205] .

[205] الدرر السنية 12 / 412 _ 414 .

ـ **وقال** الشيخ حمـد بن عـتيق رحمـه اللـه تعـالى : (**وأما المسألة الرابعة** ـ وهي مسألة إظهار الدين ـ فإن كثـيراً من الناس ، قد ظنَّ : أنه إذا قدر على أن يتلفظ بالشهادتين ، وأن يصلي الصلوات ، ولا يُردَّ عن المساجد ، فقد أظهـر دينـه وإن كان مع ذلك بين المشـركين ، أو في أمـاكن المرتـدين ، وقـد غلطوا في ذلك أقبح الغلط وأخطئوا أكبر الخطأ .

فاعلم أن الكفر له أنواع وأقسـام تتعـدد بتعـدد المكفـرات ، وقد تقدم بعض ذلك . وكل طائفة من طوائف الكفر فلابُـدّ أن يشتهر عندها نوع منه . ولا يكون المسلم مظهِراً لدينه ، حـتى يُخالف كل طائفة بمـا أشـتهر عنـدها ، ويصـرح لهـا بعداوتـه ، والبراءة منه . فمن كان كفره بالشرك ، فإظهار الدين عنده : التصريح بالتوحيد ، أو النهي عن الشرك والتحـذير منـه . ومن كان كفره بجحد الرسالة ، فإظهار الدين عنده : التصريح بـأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدعوة إلى إتباعه . ومن كان كفره بترك الصـلاة ، فإظهـار الـدين عنـده : فعـل الصـلاة ، والأمـر بهـا . ومن كـان كفـره بمـوالاة المشـركين والدخول في طاعتهم ، فإظهار الدين عنده : التصريح بعداوته ، والبراءة منه ومن المشركين .

وبالجملة : فلا يكـون مظهـراً لدينـه ، إلاَّ من صـرح لمن سـاكنه من كـل كـافر ببراءتـه منـه ، وأظهـر لـه عداوتـه لهـذا الشـيء الـذي صـار بـه كـافراً وبراءتـه منـه ؛ ولهـذا قـال المشركون للنبي صلى الله عليـه وسـلم : عـاب ديننـا وسـفَّه أحلامنا ، وشتم آلهتنا[206] . وقال اللـه تعـالى : { **قل يـا أيُهـا النـاس إن كنتم في شـك من ديـني فلا أعبـد الـذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الـذي يتوفـاكم وأُمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفـاً ولا تكـوننَّ من المشـركين ولا تـدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فـإن فعلت فإنـك إذاً من الظالمين** } [يونس / 104 ـ 106] ، فأمر اللهُ تعالى نبيه صلى الله

[206] فكيف بشباب الصحوة الذين يذهبون إلى دول أوروبا الكافرة وغيرها ، ليتعلموا لغتهم ويسكنوا بين أظهرهم ، وإذا أُنكر عليهم قالوا نحن نُصلي أمامهم ، وما علم المسكين أن هذا ليس إظهار الدين . إظهاره كما تقدم ، بإظهار العداوة والمسبة والبغض لهم ، والله المستعان .

عليه وسلم أن يقول لهم : { **يا أيُها الناس ...**} إلى آخره ، أي : إذا شككتم في الدين الذي أنا عليه ، فدينكم الذي أنتم عليه أنا بريءٌ منه ، وقد أمرني ربي أن أكون من المؤمنين الذين هم أعداؤكم ، ونهاني أن أكون من المشركين الذين هم أولياؤكم .

وقال تعالى : { **قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد** } إلى آخر السورة . فأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للكفار : دينكم الذي أنتم عليه أنا بريءٌ منه ، وديني الذي أنا عليه أنتم بُرآءٌ منه . والمراد : التصريح لهم بأنهم على الكفر ، وأنه بريءٌ منهم ومن دينهم .

فمن كان متبعاً للنبي صلى الله عليه وسلم فعليه أن يقول ذلك ، ولا يكون مظهِراً لدينه إلاَّ بذلك ؛ ولهذا لما عمل الصحابة بذلك ، وآذاهم المشركون ، أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة ، ولو وجد لهم رخصة في السكوت عن المشركين ، لما أمرهم بذلك إلى بلد الغُربة ... **والمقصود منه** : أن الرجل لا يكون مظهراً لدينه حتى يتبرأ من أهل الكفر الذي هو بين أظهرهم ، ويُصرح لهم : بأنهم كفار ، وأنه عدوٌ لهم ، فإن لم يحصل ذلك ، لم يكن إظهار الدين حاصلاً)[207] .

ـ **قال** الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن رحمه الله : (وكذلك تأمل اليوم حال كثير ممن ينتسب إلى الدين والعلم من أهل نجد ، يذهب إلى بلاد المشركين ويُقيم عندهم مدّة يطلب العلم منهم ويُجالسهم ، ثم إذا قدم على المسلمين ، وقيل له أتقِ الله وتب إلى ربك من ذلك ، استهزأ بمن يقول له ذلك ، ويقول : أتوب من طلب العلم ؟ ثم يُظهر من أفعاله وأقواله ما يُنبئ عن سوء معتقده وزيفه ، ولا عجب من ذلك لأنه عصى الله ورسوله بمخالطة المشركين ، فعوقب ، ولكن العجب من أهل الدين والتوحيد لانبساطهم مع هذا الجنس الذين أرادوا أن يقرنوا بين المشركين والموحدين وقد فرق

[207] سبيل النجاة والفكاك في موالاة أهل الإشراك ص 92 _ 95 .

اللــه بينهم في كتابــه وعلى لســان نبيــه صــلى اللــه عليــه وسلم)[208]

ـ **وقـال** رحمـه اللـه : (... ثم أنظـر حـال من ذكرنـا ومن شاكلهم في رحلتهم للمشركين وقـراءتهم عليهم وطلب العلم بـزعمهم منهم ، هـذا أقـرّوا بـه وهـو ممـا عُلم منهم وإلاَّ فهم يُتهمون بموالاتهم والركون إليهم .

ومن المصــائب أنــه إذا قــدم هــذا الجنس على المســلمين عاملوهم بمثل معاملتهم قبل الذهاب للمشــركين من الإكـرام والتحية ، وقـد يظهـر منهم حكايـة وثنـاء على بلاد المشـركين واسـتهجان المسـلمين وبلادهم ممـا يُعلم أنـه لا يظهـر إلاَّ من سوء طوية ويبقون على ذلك دائماً ، وقليـل من يسـتنكر ذلـك منهم ، وأمــا كــون أحــد يخــاف عليهم الــردّة والزيــغ بســبب أفعــالهم ، فلا أظن ذلــك ببــال أحــد ، فكــأن هــذه الأحكــام الشرعية التي يحكم بها على من صدر منه ما يُنافيها)[209] .

* * * * *

[208] عقيدة الموحدين ، رسالة : (حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة) ص 173 .

[209] عقيدة الموحدين ، رسالة : (حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة) ص 176 , 177 .

بعــض شبهات المعاصرين والـــرّدّ عليــها

الشبهة الأولى :

شـبهة من احتج بقـول أحـد من النـاس وتـرك الدليل الشرعي :

الاحتجاج بقول أحد وترك النص ، عدّه الشـيخ عبـد الـرحمن بن حســن آل الشــيخ من شــرك الطاعــة ، أيّ من الشــرك الأكبر .

ـ **قال** الشيخ عبد الـرحمن بن حسـن رحمـه اللـه في (فتح المجيـد) : (فـالواجب على كُـل مُكلـف إذا بلغـه الـدليل من كتـاب اللـه وسـنة رسـوله وفهم معـنى ذلـك ، أن ينتهي إليـه ويعمل به ، وإن خالفـه من خالفه[210] ... فيجب على من نصـح نفسه إذا قـرأ كتب العلمـاء ونظـر فيهـا وعـرف أقـوالهم ، أن يعرضـها على مـا في الكتـاب والسـنة ، فـإن كـل مجتهـد من العلماء ومن تبعه وأنتسب إلى مذهبـه ، لابُـد أن يـذكر دليلـه ، والحق في المسألة واحـد ، والأئمـة مثـابون على اجتهـادهم ، فالمنصف يجعل النظر في كلامهم وتأملـه طريقـاً إلى معرفـة المسائل واستحضارها ذهناً وتمييزاً للصواب من الخطأ بالأدلة التي يذكرها المستدلون ، ويعرف بذلك من هو أسـعد بالـدليل من العلماء فيتبعه)[211] .

ـ **وقال** رحمه الله على قوله تعالى : { **وإن أطعتمـوهم إنكم لمشركون** } [الأنعام / 121] ، (وهذا قد وقع فيـه كثـير من النـاس مـع من قلّدوهم ، لعـدم اعتبـارهم الـدليل إذا خـالف المقلّد ، وهو من هـذا الشـرك[212] . ومنهم من يغلـوا في ذلـك ويعتقـد أن الأخـذ بالـدليل والحالـة هـذه يُكـره ، أو يُحـرم ؛ فعظُمت الفتنه . ويقول : هو أعلم منا بالأدلة)[213] .

ــ **وقـال** الشـيخ عبـد اللـه بن عبـد الـرحمن أبـو بطين : (والإنســان إذا تــبين لــه الحــق ، لم يســتوحش من قلّــة الموافقين ، وكثرة المُخالفين ، لا سيما في آخر هذا الزمـان . وقول الجاهل : لو كان هذا حقاً مـا خفي على فلان وفلان[214] ،

[210] جعل الشيخ رحمه الله أن المهم اتباع الدليل .
[211] فتح المجيد ص 387 , 388 .
[212] إي الشرك الأكبر وهو شرك الطاعة ، فأنتبه أيها العبد أن تترك الدليل لقول عالم فتقع في هذا الشرك .
[213] فتح المجيد ص 391 .
[214] أنتبه لهذه الدعوى الضالة التي وقع فيها كثير من شباب الصحوة ، إذا نُصحوا وبُين لهم أمر بالدليل من الكتاب والسنّة ، قالوا هذا حق ، ولكن لماذا خفيّ على العلماء ، وفي ذلك من الحُجج الخطيرة ، أعلموا أن هذه دعوى الكفار كما بين الشيخ ذلك .

هـذه دعـوى الكفـار ، في قـولهم : { **لـو كـان خـيراً مـا سبقونا إليه** } [الأحقـاف / 11] {ـ **أهؤلاء مَنَّ اللهُ عليهم من بيننا** } [الأنعام / 53] وقد قال علي رضي الله عنه ، **اعرف الحق تعرف أهله** ، وأما الذي في حيرةٍ ولبس ، فكل شـبهة تـروج عليه ، فلو كان أكثر الناس اليوم على الحق ، لم يكن الإسلام غريباً ، وهو والله اليوم في غاية الغربة . ولمّـا ذكـر ابن القيم رحمـه اللـه : نـوع الشـرك وظهـوره ، قـال : **فما أعـز من تخلص من هذا ، بل ما أعز من لا يعادي من أنكــره** ؟ يعني : ما أقل من لا يُعادي من أنكره ، وهذا قوله في زمانه ، ولا يأتي عام إلاَّ وما بعده شرٌ منه ، كما قال النبي صـلى اللـه عليه وسلم)[215] .

* * * * *

[215] الدرر السنية 10 / 400 , 401 .

الشبهة الثانية :

شـــبهة من يقـــول مـــا كلفـــني اللـــه بتكفـــير الطـــواغيت والمشـــركين ولن يســـألني اللـــه عنهم :

ـ **قال** شـيخ الإسـلام محمـد بن عبـد الوهـاب رحمـه اللـه : (فالله ، الله ، إخواني : تمسـكوا بأصـل دينكم أولـه وآخـره ، أُسـه ورأسـه ، وهـو : شـهادة أن لا إلـه إلاَّ اللـه ؛ واعرفـوا : معناها ؛ وأحبوا أهلها ، واجعلوهم إخوانكم ، ولو كانوا بعيدين ؛ واكفـــروا بـــالطواغيت ، وعـــادوهم ، وابغضـــوا من أحبهم ، أو جادل عنهم ، أو لم يكفرهم ، أو قال ما عليّ منهم ، أو قال ما كلفني الله بهم ، فقد كذب[216] هذا على اللـه ، وافـترى ؛ بـل : كلفه الله بهم ، وفرض عليه الكفر بهم ، والـبراءة منهم ؛ ولـو كانوا : إخوانه ، وأولاده ؛ فالله ، الله ، تمسكوا بأصـل دينكم ، لعلكم تلقـــون ربكم ، لا تشـــركون بـــه شـــيئاً ؛ اللهم توفنـــا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين)[217] .

ـ **وقال** رحمه الله : (... عرفت أن الإنسان لا يسـتقيم لـه دين ولا إسـلام ، ولـو وحـد اللـه وتـرك الشـرك ، إلاَّ بعـداوة المشركين ، والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء[218])[219] .

ـ **وقال** الشيخ عبد اللطيف بن عبـد الـرحمن رحمـه اللـه : (فمقت هؤلاء المشركين وعيبهم وذمهم وتكفـيرهم والـبراءة منهم هو : حقيقة الدين ، والوسيلة العظمى إلى ربّ العالمين ، ولا طيب لحياة مسلم وعيشه إلاَّ بجهـاد هـؤلاء ، ومـراغمتهم وتكفيرهم والتقرب إلى الله بذلك واحتسابه لديه)[220] .

ـ **قال** الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه اللـه : (وأنت يـا من منَّ الله عليه بالإسلام ، وعرف أن ما من إلـه إلاَّ اللـه ؛ لا تظن أنك إذا قلت هذا هو الحق ، وأنا تاركٍ مـا سِـواه ، لكن لا أتعرض للمشركين ، ولا أقـول فيهم شـيئاً ، لا تظن : أن ذلـك يحصل لك به الدخول في الإسـلام ، بـل : لا بُـدَّ من بُغضِـهم ، وبغض من يحبهم ، ومسـبتهم ، ومعـاداتهم ، كمـا قـال أبـوك

[216] وبذلك تنجلي هذه الشبهة الخبيثة التي يُرددها علماء الحكومات دائماً ويُلبسون بها على صغار الطلبة .
[217] الدرر السنية 2 / 119 , 120 .
[218] أنتبه لهذا يا أخا التوحيد تعرف ضلال من يقول لن يسألني الله عنهم .
[219] الدرر السنية 8 / 113 .
[220] مجموعة الرسائل والمسائل النجدية 3 / 224 .

إبراهيم ، والذين معه : { **إنَّا بُرءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده** } [الممتحنة / 4] وقال تعالى :

{ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى** } [البقرة / 256] وقال تعالى : { **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** } [النحل / 36] . ولو يقول رجل : أنا أتبع النبي صلى الله عليه وسلم وهو على الحق ، لكن : لا أتعرض اللاَّت ، والعُزى ، ولا أتعرض أبا جهل ، وأمثاله ، ما عليَّ منهم ؛ لم يصح إسلامه)[221] .

* * * * *

[221] الدرر السنية 2 / 109 .

الشبهة الثالثة :

شـبهة من يعتـذرون للطـواغيت المشـرعين بحديث كفر دون كفـر ، وقـول اللـه تعـالى : { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } :

ـ **قال** سـليمان العلـوان في كتابـه (التبيـان شـرح نـواقض الإسلام) في الحاشية على هذه الآية : قال شيخ الإسـلام في الاقتضاء [1 /ـ 208] : (وفرق بين الكفر المُعرف بـاللام كمـا في قوله صلى الله عليه وسـلم ((ليس بين العبـد وبين الكفـر أو الشرك إلاَّ تـرك الصـلاة)) ، وبين كفـر منكـر في الإثبـات) أ.هـ فـالكفر المعـرف بـالألف واللام لا يحتمـل في الغـالب إلاَّ الأكبر ، كقولـه تعـالى : { **فأولئـك هم الكـافرون** } فيمن حكم بغير ما أنزل الله ، ومـا جـاء عن ابن عبـاس رضـي اللـه عنـه من قولـه : (**كفر دون كفر**) فلا يثبت عنـه فقـد رواه الحاكم في مسـتدركه (2 /ـ 313) من طريـق هشـام بن حجـير عن طـاوس عن ابن عبـاس بـه وهشـام ضـعفه أحمـد ويحيى ، وقد خولف فيه أيضاً فرواه عبد الـرزاق في تفسـيره عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال : سئل ابن عباس عن قولـه تعـالى : { **ومن لم يحكم بما أنـزل اللـه فأولئـك هم الكافرون** } قـال : هي كفـر ، وهـذا هـو المحفـوظ عن ابن عباس أي أن الآية على إطلاقها ، وإطلاق الآيـة يـدل على أن المراد بالكفر هـو الأكـبر ، إذ كيـف يقـال بإسـلام من نحى الشرع واعتاض عنه بآراء اليهود والنصـارى وأشـباههم . فهـذا مع كونه تبـديلاً للـدين المنــزل هـو إعـراض أيضـاً عن الشـرع المطهر ، وهذا كفر آخر مستقل . وأما مـا رواه ابن جريـر في تفسـيره عن ابن عبـاس أنـه قـال : (ليس كمن كفـر باللـه واليوم الآخر وبكـذا وبكـذا) فليس مُـراده أن الحكم بغـير مـا أنزل الله كفر دون كفر ، ومن فهم هذا فعليـه الـدليل وإقامـة البرهان على زعمه ، والظاهر من كلامـه أنـه يعـني أن الكفـر الأكبر مراتب متفاوتة بعضـها أشـد من بعض ، فكفـر من كفـر بالله وملائكته واليوم الآخر أشد من كفر الحاكم بغير ما أنــزل الله . ونحن نقول أيضاً : إن كفـر الحـاكم بغـير مـا أنـزل اللـه

أخـف من كفـر من كفـر باللــه وملائكتـه.. ولا يعـني هـذا أن الحاكم مسلم وأن كفـره كفـر أصـغر ، كلا بـل هـو خـارج عن الدين لتنحيته الشرع ، وقد نقل ابن كثـير الإجمـاع على هـذا ، فأنظر البداية والنهاية [13 / 119]) .

الشبهة الرابعة :

شبهة ((من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما)) :

يُعظم علماء المرجئة وعلماء الحكومات هذا الحديث في أعين الناس حتى أستقر عند كثير من طلبة العلم أن من كفر مسلم فهو كافر ـ وهذا قول باطل ـ حتى تورع كثيرٌ من طلبة العلم عن تكفير الطواغيت ، ووجد من يتورع عن قول ((ظالم للطاغوت)) ، ويتبين ظلال هذا القول من وجوه :

1 ـ أن عمر بن الخطاب كفر حاطب بن أبي بلتعة لأنه فعل جُرماً عظيماً وليس كفراً ، والدليل على ذلك أن الله ناداه باسم الإيمان في قوله : { **يا أيها الذين ءآمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء** } الآية [الممتحنة / 1] ، لمّا أراد الرسول صلى الله عليه وسلم فتح مكة كتب حاطب إلى أهل مكة يخبرهم بقدوم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : (دعني أضرب عنق هذا المنافق) ، ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم على عمر ولم يغضب ، وقال : ((وما يُدريك يا عمر لعل الله أطلع على أهل بدر فقال أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)) ـ وأصل القصة في البخاري ـ ، ومع ذلك ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر : أنت تكفيري تكفر المسلمين وأنت من الخوارج ، كما يقول علماء الحكومات اليوم لأهل التوحيد ، ومع ذلك بوب البُخاري في (صحيحه) على هذه القصة ، وقال : (باب من لم يرى إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً) .

ـ **وقال** ابن القيم رحمه الله على قصة حاطب وما فيها من الفوائد : (وفيها : أن الرجل إذا نسب المسلم إلى النفاق والكفر متأولاً وغضباً لله ورسوله ودينه لا لهواه وحظّه ، فإنه لا يكفر بذلك ، بل لا يأثم به ، بل يُثاب على نيته وقصده ، وهذا بخلاف أهل الأهواء والبدع ، فإنهم يُكفِّرون ويُبدِّعُون لمخالفة أهوائهم ونحلهم ، وهم أولى بذلك ممن كفروه وبدَّعوه)[222].

[222] زاد المعاد 3 / 372 .

2 _ وأيضاً ما ثبت في البخاري من حديث جابر بن عبد الله ، أن معاذاً كان يُصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم يأتي قومه فيصلي بهم ، فقرأ بالبقرة ، فتجوز رجل فصلى صلاةً خفيفة ، فبلغ ذلك معاذاً ، فقال : إنه منافق ، فأخبر الرجل النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم ينكر قول معاذ للرجل ولكن أنكر الإطالة ، فقال : ((أفتّان أنت يا معاذ ـ قالها ثلاثاً ـ اقرأ (والشمس وضحاها) و (سبح أسم ربك الأعلى) ونحوها)) .

3 _ وأيضاً ما حصل للصحابة في قصة الإفك ، والحديث عند البخاري من حديث عائشة في كتاب التفسير سورة النور ، لما صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر وقال : ((يا معشر المسلمين ، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ؟ فوالله ما علمت على أهلي إلاَّ خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلاَّ خيراً . وما كان يدخل على أهلي إلاَّ معي)) ، فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال يا رسول الله ، أنا أعذرك منه ، إن كان من الأوس ضربت عُنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ، قالت ـــ أي عائشة رضي الله عنها ـ : فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج ، وكان قبل ذلك رجلً صالحاً ، ولكن احتملته الحميَّة ، فقال لسعد : كذبت لعمر الله لا تقتله ، ولا تقدر على قتله ، فقام أُسيد بن حُضير وهو ابن عم سعد ، فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لنقتُلنَّه ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين ... إلى آخر القصة .

فجعل أُسيد بن حُضير سعد بن عبادة منافق ، ويجادل عن منافق يعني عبد الله بن أبي سلول ، ومعروف من هو سعد بن عباده ! ومع ذلك لم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم على أُسيد ولم يقل إنك تكفيري أو خارجي ، مثل ما يقول علماء الحكومات للترقيع لطواغيتهم ، وما قام أحد من أهل التوحيد وصدع به وتبرأ من الطواغيت إلاَّ قالوا له هذا الكلام ، حتى الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، لمّا صدع بالتوحيد وسب الطواغيت وعاداهم ، قالوا عنه علماء السوء إنه

خارجيّ تكفيري مثل اليوم سواءً بسواء ، فنعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى .

وأما معنى الحديث : ((**فقد باء بها**)) أي باء بالإثم ، يعني أنه آثم ولا يجوز ذلك ، أما من قال إنه كُفر فقوله ضعيف بعيد جداً ، فليُنتبه لذلك ، ومن أراد مزيد بحث فليرجع إلى كلام الشيخ عبد الله أبو بطين في (مجموعة الرسائل والمسائل النجدية) (5 / 511) .

ـ **وقال** الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن : (إن كان : المكفِّر لبعض صُلحاء الأمة متأولاً مخطئاً ، وهو ممن يسوغ له التأويل ، فهذا وأمثاله ممن رُفع عنه الحرج والتأثيم ، لاجتهاده ، وبذل وسعه ، كما في قصة حاطب بن أبي بلتعه ، فإن عمر رضي الله عنه وصفه بالنفاق ، وأستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((وما يُدريك أن الله اطلع على أهل بدر ، فقال : أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)) . ومع ذلك فلم يُعنف عمر ، على قوله لحاطب : إنه قد نافق ؛ وقد قال الله تعالى : { **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطئنا** } [البقرة / 286] وقد ثبت : أن الربَّ تبارك وتعالى ، قال بعد نزول هذه الآية وقراءة المؤمنين لها ((قد فعلت)) وأما إن كان : المكفِّر لأحد من هذه الأمة ، يستند في تكفيره له إلى نص وبرهان ، من كتاب الله وسنة نبيه ، وقد رأى كفراً بواحاً ، كالشرك بالله ، وعبادة ما سواه ، والاستهزاء به تعالى ، أو بآياته ، أو رسله ، أو تكذيبهم ، أو كراهة ما أنزل الله من الهدى ودين الحق ، أو جحد صفات الله تعالى ونعوت جلاله ، ونحو ذلك ، فالمكفِّر بهذا وأمثاله ، مصيب مأجور ، مطيع لله ورسوله)[223] .

ـ **وسئل** الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين رحمه الله وعفا عنه عن الذي يروي ((**من كفر مسلماً فقد كفر**)) : **فأجاب** عفا الله عنه : (لا أصل لهذا اللفظ فيما نعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما الحديث المعروف : ((من

[223] الدرر السنية 12 / 260 , 261 .

قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما)) ومن كفَّر إنساناً ، أو فسقه . أو نفقه ، متأولاً ، غضباً لله تعالى ، فيُرجى العفو عنه[224] كما قال عمر رضي الله عنه في شأن حاطب بن أبي بلتعه ، أنه منافق ، وكذا جرى من غيره من الصحابة وغيرهم ... وقول الجُهال : إنكم تكفرون المسلمين ، فهذا ما عرف الإسلام ولا التوحيد ، والظاهر : عدم صحة إسلام هذا القائل[225] ، فإن لم ينكر هذه الأمور التي يفعلها المشركون اليوم ، ولا يراها شيئاً فليس بمسلم)[226] .

* * * * *

[224] خلافاً لعلماء الحكومات الذين خوَّفوا الطلبة من التكفير ، حتى اصبح طواغيت العرب الذين يُحكمون غير الشريعة ، ويتحاكمون إلى غير الشريعة ، أنهم ليسوا كفار بل مسلمين ، وسابّ الله يُتوقف في تكفيره !!
فنبرأ إلى الله من هذا الضلال ، ونعوذ به من هذا التلبيس .

[225] تأمل ماذا حكم الشيخ عليهم لهذه المقولة الشنيعة .

[226] مجموعة الرسائل والمسائل النجدية 1 / 654 , 655 .

الشبهة الخامسة :

من يـــرتكب المحظـــور من أجـــل الإصـــلاح والدعوة ، وهو مخالف لهـدي النـبي صـلى اللـه عليه وسلم :

وأما الأدلة التي تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم مـا فعل معصية قط من باب المصلحة، كما يلي :

الدليل الأول :

ما جـاء في السـيرة أن قُريشـاً أرسـلت عتبـة لرسـول اللـه صلى الله عليه وسلم يفاوضه على ترك سبّ آلهتهم ، وقـال : فرقت شملنا ، فإن كنت تُريد السـيادة لا نقطـع أمـراً دونـك ، وإن أردت زوجـاً زوجنـاك ، وإن أردت مـالاً أعطينـاك ، فقـرأ الرسول صلى الله عليه وسـلم عليـه أول سـورة فُصِـلت[227] ، والقصة صحيحة باعتبار طرقها .

فالعرض ليس فيه مُكفر ، ومع ذلك لم يفعل الرسول صـلى الله عليه وسلم شيئاً من ذلك باسم مصلحة الدعوة ، وطلبـوا منه فقط ترك التصريح بكفرهم وباطلهم وترك انتقاد الأوضاع الباطلة ، مع أنهم عرضوا عليه أن يكون سـيداً ، يعـني رئيسـاً وهذه مصلحة عظيمة يتمناهـا كثـيراً من دعـاة الإصـلاح ، ومـع ذلك لم يقبـل بـذلك لأنـه يتضـمن معصـية ، وهي تـرك إظهـار الولاء والبراء ، وترك جزء من التوحيد .

الدليل الثاني :

عند مسلم وهـو : ((أن قريشـاً أتت النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم وطلبت منـه مجلسـاً مقابـل أن يطـرد الضُـعفاء))[228] ، فأنزل اللـه عليـه آيـتين ، الآيـة الأولى : { **ولا تطرد الـذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ما عليك من حسـابهم من شـيء ومـا من حسـابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين** } [الأنعـام / 52] ، مع أن فيه مصلحة وهي الاجتمـاع بهم ودعـوتهم ، ولكن لمـا كـان مقابـل معصـية مُنـع من ذلـك ، والمعصـية هي كسـر قلـوب الضـعفاء وخـذلانهم ، ومثلـه اليـوم لـو طلب العلمـانيون من

[227] أنظر : فتح القدير 4 / 504 ط . دار إحياء التراث العربي ، وذكر أيضاً ابن كثير في تفسيره من حديث جابر بن عبد الله 4 / 114 . ط . مؤسسة الريان ، قال ابن كثير رحمه الله : وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي عن أبي بكر ابن أبي شيبة ، وقد ساقه البغوي في تفسيره بسنده عن محمد بن فيصل .

[228] رواه مسلم (2413) في فضائل الصحابة عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

الإسلاميين طـرد المجاهـدين مقابـل مكاسـب دعويـة لم يجـز لهـذا النهي . الآيـة الثانيـة : { **وأصـبر نفسـك مـع الـذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ولا تعــدُّ عيناك عنهم تريدُ زينة الحياة الدنيا** } [الكهف / 28] .

الدليل الثالث :

قصــة ابن أم مكتــوم عنــدما جــاء يســأل الرســول فتركـه الرسول صلى الله عليه وسلم ، مقابل أنه كان يتكلم مع كفار قريش فطمع في إسـلامهم ، وفي ذلـك مصـلحة للـدعوةِ إلى الله ، فأنزل الله أول سورة عبس[229] .

الدليل الرابع :

قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((يكون في آخـر الزمـان أُمـراء ظلمـه ووزراء فسـقه وقضـاة كذبـه ، فمن أدرك ذلـك الزمان فلا يكونن لهم جابياً ولا عريفاً ولا شـرطياً))[230] ، ووجـه الدلالة : أنه منع إعانة الظلمة ومساعدتهم .

الدليل الخامس :

يقـال لهم لـو أن أهـل البـدع أحـدثوا بدعـة يريـدون الخـير والمصــلحة كإحيــاء المولــد وصــيام النصــف من شــعبان ، فسيقولون لا يجـوز ، نقـول إذاً فالبـاب واحـد ، ومثلـه لـو خلا رجل بامرأة من باب الدعوة ، فسيقولون لا يجـوز ، نقـول إذاً فالباب واحد .

الدليل السادس :

يُستدل عليهم أيضاً بقول الرسول صـلى اللـه عليـه وسـلم : ((ما جعل دواء أمتي فيما حُرِم عليها إن الله طيب لا يقبـل إلاَّ طيباً))[231] .

الدليل السابع :

فقـد أجمـع أهـل الحـديث أنـه لا يجـوز للشـخص أن يخــترع أحاديث من عنـده في بـاب الفضـائل ، أو يضـع أحـاديث لحث الناس على أمر ما ، ولو كان في هذه الفضائل مصلحة الخــير

[229] أورد هذه القصة ابن كثير في تفسيره 4 / 604 ، وذكره الطبري في تفسيره 12 / 443 .
[230] المعجم الصغير للطبراني 1 / 204 .
[231] رواه مسلم (1015) في الزكاة .

والازدياد من الطاعة ، لأنه يلزم منه معصية وهي الكذب على الله ورسوله .

* * * * *

الشبهة السادسة :

شـبهة أن الإمـام أحمـد قـال : (لـو لي دعـوة مستجابة لصرفتها للسلطان) :

هذه المقولة في ثبوتها عن الإمام أحمد نظر ، وقد ثبتت عن غيره من السلف ، ثم إن ذلك معناه أن لو ليّ دعوة مستجابة لدعوتها للسلطان ليصلحهُ الله ويُحكِّم شـرعه ، ولا تنـافي في هذه المقولة وقول بعض الناس في عدم تكفير الطواغيت لأن الإمام قال هذا الكلام .

ثم نحن نتمـــنى ونفـــرح أن يحكم بشـــريعة الـــرحمن في الأرض ، ولا تنافيّ بين القولين .

* * * * *

<u>الشبهة السابعة :</u>

شبهة من يعتذرون لعلماء الحكومات ويقولون لو أن العلماء قالوا الحق لحصلت فتنة عظيمة وقتال وأمور لا تُحمد عُقباها ، فهم ساكتون من أجل ذلك :

فنرد عليهم بما **قاله** الشيخ سليمان بن سحمان قال : (**والمقام الثاني** : أن يُقال :إذا عرفت أن التحاكم إلى الطاغوت كفر ، فقد ذكر الله في كتابه : أن الكفر أكبر من القتل ، قال : { **والفتنة أكبر من القتل** } [البقرة / 217] وقال : { **والفتنة أشد من القتل** } [البقرة / 191] **والفتنة** : هي الكفر ؛ فلو اقتتلت البادية والحاضرة ، حتى يذهبوا ، لكان أهون من أن ينصبوا في الأرض طاغوتاً ، يحكم بخلاف شريعة الإسلام ، التي بعث الله بها رسوله صلى الله علبه وسلم)[232] .

* * * * *

[232] الدرر السنية 10 / 510 .

الشبهة الثامنة :

شبهة من يتوقف في كفـر الطـواغيت ، يحتج بأن الإمام أحمد لم يُكفـر المـأمون وهـو يقـول بخلق القرآن :

نقول : هل أشد كفـراً الحكم بغـير مـا أنـزل اللـه أم القـول بخلق القرآن ؟

لا شـك ولا ريب أن الحكم بغـير مـا أنـزل اللـه أشـد كفـراً وأوضح من القول بخلق القرآن ، والدليل على ذلك قول اللــه عزّ وجلّ : { **ومن لم يحكم بما أنزل اللـه فأولئـك هم الكافرون** } ، فشـيء سـماه اللـه كفـراً أشـد من شـيء لم يسمه الله كفراً ، فالحكم بغير ما أنزل الله سـماه اللـه كفـراً بينما القول بخلق القرآن لم يسمه الله كفراً ، ومـع ذلـك فهـو كفر ، فهناك فرق بين الأمرين ، انتبه إليه يا أخـا التوحيـد لكي لا يُلبس عليك علماء الحكومات .

وقد ثبت عن الإمام أحمد قال كما في كتاب السـنة للخلال [5 / 95] ، قال أخبرني أحمد بن محمد بن مطر قال حدثنا أبو طالب قـال ، قلت لأبي عبـد اللـه : إنهم مـرّوا بطرسـوس[233] بقبر رجل ، فقال أهل طرسوس : الكافر لا رحمه الله ، فقال أبو عبد الله : **نعم فلا رحمه الله هذا الـذي أسـس هـذا وجاء بهذا** .

وذُكر في السير أن المأمون مات في طرسوس .

ويقصد الإمام أحمد بأنه الذي أسس هـذا وجـاء بهـذا ، يعـني فتنة خلق القرآن ، والله أعلم .

* * * * *

[233] مدينة بثغور بين انطاكية وحلب وبلاد الروم .

الشبهة التاسعة :

حديث النبي صلى الله عليه وسلم : ((من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات ، مات ميتةً جاهلية))[234] وفي رواية أُخرى : ((من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات ، فميتةً جاهلية))[235] :

يستدل علماء الحكومات بهذا الحديث لتخويف الشباب من تكفير الطواغيت والبراءة منهم ، وهذا استدلال في غير محله .

أولاً : هذه الأحاديث في شأن أئمة الجور من المسلمين ، وليس في الطواغيت المشرعين .

ثانياً : معنى الحديث ، قال النووي على شرح مسلم ج 11 ـ 12 ص 238 ، : قوله صلى الله عليه وسلم : ((من فارق الجماعة مات ميتةً جاهلية)) هي بكسر الميم ، أيّ على صفة موتهم ، من حيث هم فوضى لا إمام لهم . أ هـ

يعني معنى الحديث أن مشابهة من خرج على الإمام مشابهة من مات في عصر ليس لهم إمام كما في الجاهلية ، وليس يقتضي كفر من خرج عن الإمام المسلم ، فانتبه يا أخا التوحيد لكي لا يُلبسوا عليك علماء الحكومات للترقيع عن طواغيتهم .

* * * * *

234 عند مسلم من حديث أبي هريرة .

235 عند مسلم من حديث ابن عباس .

فصل : في الغربة

أخي الموحد بعدما عرفت التوحيد وأهميته وفضله وقلة العاملين به وكثرة الجاهلين به ولكي تعرف أننا في غربة في هذا الزمان أذكرك بأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم .

قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (3 / 203) : قال شيخ الإسلام (« باب الغربة » قال الله تعالى : { **فلولا كان من القرون مِن قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلاّ قليلاً ممن أنجينا منهم** } [هود / 116])

استشهاده بهذه الآية في هذا الباب : يدل على رسوخه في العلم والمعرفة ، وفهم القرآن . فإن الغرباء في العالم : هم أهل هذه الصفة المذكورة في الآية . وهم الذين أشار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء . قيل : ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : الذين يصلحون إذا فسد الناس » وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن زُهير عن عمرو بن أبي عمرو ــ مولى المطلب بن حَنْطَب ــ عن المطلب بن حنطب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « طوبى للغرباء . قالوا : يا رسول الله ، ومن الغرباء ؟ قال : الذين يزيدون إذا نقص الناس » .

فإن كان هذا الحديث بهذا اللفظ محفوظاً ــ لم ينقلب على الراوي لفظه وهو « الذين ينقصون إذا زاد الناس » ـ فمعناه : الذين يزيدون خيراً وإيماناً وتُقىً إذا نقص الناس من ذلك . والله أعلم .

وفي حديث الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الإسلام بدأ غريباً . وسيعود غريباً كما بدأ . فطوبى للغرباء . قيل : ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : النُّـزَّاع من القبائل » وفي حديث عبد الله بن عمرو قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم ـ ذات يوم ونحنُ عنده ـ « طوبى للغرباء

. قيل : ومن الغربـاء يـا رسـول اللـه ؟ قـال : نـاس صـالحون قليل في ناس كثير ، ومن يعصيهم أكثر ممن يُطيعهم)) .
قال أحمد : حـدثنا الهيثم بن جميـل حـدثنا محمـد بن مسـلم حدثنا عثمان بن عبد الله عن سليمان بن هرمز عن عبـد اللـه بن عمرو عن النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال : ((إن أحب شيء إلى الله الغرباء . قيل : ومن الغرباء ؟ قال : الفـرارون بـدينهم ، يجتمعـون إلى عيسـى ابن مـريم عليـه السـلام يـوم القيامة)) .
وفي حديث آخر ((بـدأ الإسـلام غريبـاً . وسـيعود غريبـاً كمـا بدأ ، فطوبى للغرباء . قيل : ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : الذين يحيون سُنتي ، ويُعلمونها الناس)) .
وقـال نـافع عن مالـك ((دخـل عمـر بن الخطـاب المسـجد ، فوجد معـاذ بن جبـل جالسـاً إلى بيت النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم ، وهو يبكي ، فقـال لـه عمـر : مـا يُبكيـك ، يـا أبـا عبـد الرحمن ؟ هلك أخوك ؟ قال : لا . ولكن حـديثاً حدثنيـه حبيـبي صلى الله عليه وسلم ، وأنا في هذا المسجد . فقال : ما هـو؟ قال : إن الله يُحب الأخفياء الأتقياء الأبريـاء . الـذين إذا غـابوا لم يُفتقدوا ، وإذا حضروا لم يُعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهـدى ، يخرجون من كُل فتنه عمياء مظلمة)) .
فهـؤلاء هم الغربـاء الممـدوحون المغبوطـون ، ولِقلتهم في الناس جداً : سُموا ((غرباء)) فإن أكـثر النـاس على غـير هـذه الصفات ، فأهـل الإسـلام في النـاس غربـاء ، والمؤمنـون في أهل الإسلام غرباء ، وأهل العلم في المؤمـنين غربـاء ، وأهـل السُـنَّة ـ الـذين يُميزونهـا من الأهـواء والبـدع ـ فهم غربـاء ، والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين : هم أشد هؤلاء غربة ، ولكن هؤلاء هم أهل اللـه حقـاً فلا غربـة عليهم ، وإنمـا غربتهم بين الأكثرين ، الذين قال الله عزَّ وجـلَّ فيهم : { **وإن تُطـع أكـثرَ مَن في الأرض يُضـلوك عن سـبيل الله** } [الأنعـام / 116] فأولئـك هم الغربـاء من اللـه ورسـوله ودينـه ، وغـربتهم هي الغربـة الموحشـة ، وإن كـانوا هم المعـروفين المُشار إليهم ، كما قيل :

فليس غريباً من تناءت ديارهُ ولكنَّ من تَنأيْنَ عنهُ غريبُ

ولما خرج موسى عليه السلام هارباً من قـوم فرعـون انتهى إلى مـدين ، على الحـال الـتي ذكـر اللـه ، وهـو وحيـد غـريب خائف جائع ، فقال : ((يا رب وحيد مريض غريب ، فقيـل لـه : يا موسى ، الوحيد : من ليس له مثلي أنيس ، والمريض : من ليس له مثلي طبيب ، والغريب : من ليس بيني وبينه معاملـة)) .

(أنواع الغربة)

الغربة ثلاثة أنواع : **النوع الأول** :

غربة أهـل اللـه وأهـل سـنَّة رسـوله بين هـذا الخلـق ، وهي الغربة التي مدح رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أهلهـا ، وأخبر عن الدين الذي جاء به : أنه ((بدأ غريباً)) وأنه ((سـيعود غريباً كما بدأ)) وأن ((أهله يصيرون غرباء)) .

وهذه الغربـة قـد تكـون في مكـان دون مكـان ، ووقت دون وقت ، وبين قوم دون قـوم ، ولكن أهـل هـذه ((الغربـة)) هم أهل الله حقاً ، فإنهم لم يأووا إلى غير الله ، ولم ينتسـبوا إلى غير رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يدعوا إلى غير ما جاء بـه ، وهم الـذين فـارقوا النـاس أحـوج مـا كـانوا إليهم ، فـإذا انطلق الناس يوم القيامة مع آلهتهم بقوا في مكانهم ، فيُقـال لهم : ((ألا تنطلقون حيث انطلـق النـاس ؟ فيقولـون : فارقنـا الناس ، ونحن أحوج إليهم منَّا اليوم ، وإنا ننتظر ربنا الذي كُنـا نعبده)) .

فهذه ((الغربـة)) لا وحشـة على صـاحبها ، بـل هـو آنسُ مـا يكـون إذا اسـتوحش النـاس ، وأشـد مـا تكـون وحشـته إذا استأنسوا ، فوليه الله ورسوله والذين آمنوا ، وإن عـاداه أكـثر الناس وجفوه .

وفي حديث القاسم عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ـ عن اللـه تعـالى ـ : ((إن أغبـط أوليـائي عنـدي : لمؤمن ، خفيف الحاذِّ ، ذو حظ من صلاته ، أحسنَ عبادة ربه ، وكان رزقه كَفافاً ، وكان مع ذلك غامضاً في النـاس ، لا يُشـار

إليــه بالأصــابع ، وصــبر على ذلــك حــتى لقي اللــه ، ثم حلَّت منيته ، وقَلَّ تُراثه ، وقَلَّتْ بَواكيه » .

ومن هؤلاء الغربـاء : من ذكـرهم أنس في حديثـه عن النـبي صلى اللـه عليـه وسـلم : « رُبَّ أشـعث أغـبر ، ذي طِمْـرَين لا يُؤْبَهُ له ، لو أقسم على الله لأبَرَّه » .

وفي حــديث أبي إدريس الخــولاني عن معــاذ بن جبــل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم عن ملوك أهل الجنَّة ؟ قالوا : بلى ، يا رسول الله ، قال : كُل ضـعيف أغْبَـر ، ذي طمرين لا يُؤبه لـه ، لـو أقسـم على اللـه لأبـره » . وقـال الحسن : المؤمن في الدنيا كالغريب ، لا يجـزع من ذلهـا ، ولا يُنافس في عزها ، للنـاس حـال ، ولـه حـال ، النـاس منـه في راحة ، وهو من نفسه في تعب .

ومن صفات هؤلاء الغرباء ـ الذين غبطهم النـبي صـلى اللـه عليه وسلم ـ : التمسك بالسنَّة ، إذا رغب عنها الناس ، وتــرك ما أحدثوه ، وإن كان هو المعـروف عنـدهم ، وتجريـد التوحيـد وإن أنكر ذلك أكثر الناس ، وترك الانتساب إلى أحد غـير اللـه ورسوله ، لا شيخ ولا طريقة ، ولا مذهب ولا طائفة ، بل هؤلاء الغرباء منـتسبون إلى الله بالعبودية لـه وحـده ، وإلى رسـوله بالاتباع لما جاء به وحده ، وهؤلاء القابضون على الجمر حقـاً ، وأكثر الناس ـ بل كلهم ـ لائمٌ لهم ، فلِغربتهم بين هـذا الخلـق يعدونهم أهلَ شذوذ وبدعة ، ومفارقة للسواد الأعظم .

ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسـلم : « هم النـــزاع من القبائل » أن اللــه ســبحانه بعث رســوله ، وأهــل الأرض على أديــان مختلفــة ، فهم بين عُبَّاد أوثــان ونــيران ، وعُبَّاد صــور وصـلبان ، ويهـود وصـابئة وفلاسـفة ، وكـان الإسـلام في أول ظهوره غريباً ، وكان من أسلم منهم واستجاب لله ولرسوله : غريباً في حَيِّه وقبيلته ، وأهله وعشيرته .

فكان المستجيبون لدعوة الإســلام نُــزَّاعاً من القبائـل ، بـل آحــاداً منهم ، تغربــوا عن قبــائلهم وعشــائرهم ، ودخلــوا في الإســلام ، فكــانوا هم الغربــاء حقــاً ، حــتى ظهــر الإســلام ، وانتشـرت دعوتـه ، ودخـل النـاس فيـه أفواجـاً ، فـزالت تلـك

الغربة عنهم ، ثم أخذ بالاغتراب والترحل ، حتى عاد غريباً كما بدأ ، بل الإسلام الحق ـ الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ـ هو اليوم أشد غربة منه في أول ظهوره ، وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفة ، فالإسلام الحقيقي غريب جداً ، وأهله غرباء أشد الغربة بين الناس .

وكيف لا تكون فِرقة واحدة قليلة جداً ، غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة ، ذات أتباع ورئاسات ، ومناصب وولايات ، ولا يقوم لها سوق إلاَّ بمخالفة ما جاء به الرسول ؟ فإن نفس ما جاء به : يُضاد أهواءهم ولذاتهم ، وما هم عليه من الشبهات والبدع التي هي منتهى فضيلتهم وعملهم ، والشهوات التي هي غايات مقاصدهم وإراداتهم ؟ .

فكيف لا يكون المؤمن السائر إلى الله علي طريق المتابعة غريباً بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهواءهم ، وأطاعوا شُحَّهم ، وأُعجب كُلٌ منهم برأيه ؟ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيتم شُحَاً مُطاعاً وهوىً متبعاً ، ودُنيا مُؤْثَرة ، وإعجاب كُلَ ذي رأي برأيه ، ورأيت أمراً لا يَدَ لك به ، فعليك بخاصة نفسك ، وإياك وعوامَّهم ، فإن وراءكم أياماً صبر الصابر فيهن كالقابض على الجمر)) ولهذا جُعِل للمسلم الصادق في هذا الوقت ـ إذا تمسك بدينه ـ : أجر خمسين من الصحابة ، ففي سُنن أبي داود والترمذي ـ من حديث أبي ثعلبة الخُشَني ـ قال : ((سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية { **يا أيُها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم مَن ضلَّ إذا اهتديتم**} [المائدة / 105] فقال : بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شُحّاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ، ودُنيا مُؤثَرة ، وإعجاب كُل ذي رأي برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوامَّ ، فإن من ورائكم أيام الصبر ، الصبر فيهن مثل قبض على الجمر ، للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله ، قلت : يا رسول الله ، أجر خمسين منهم ؟ قال : أجر خمسين منكم)) وهذا الأجر

العظيم إنمـا هـو لغربتـه بين النـاس ، والتمسـك بالسُـنَّة بين ظلمات أهوائهم وأرائهم .
فإذا أراد المـؤمن ، الـذي قـد رزقـه اللـه بصـيرة في دينـه ، وفقهاً في سُنَّة رسوله ، وفهماً في كتابه ، وأراه ما الناس فيه : من الأهـــواء والبـــدع والضـــلالات ، وتنكبهم عن الصـــراط المستقيم ، الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليـه وسـلم وأصحابه ، فإذا أراد أن يسلك هـذا الصـراط : فليـوطن نفسـه على قدح الجُهال وأهل البـدع فيـه ، وطعنهم عليـه ، وإزرائهم به ، وتنفير الناس عنه ، وتحذيرهم منه ، كما كان سـلفهم من الكُفار يفعلون مع متبوعه وإمامه صلى الله عليه وسلم ، فأما إن دعـاهم إلى ذلـك ، وقـدح فيمـا هم عليـه : فهنالـك تقـوم قيامتهم ، ويبغون له الغوائل ، وينصبون له الحبائل ، ويجلبـون عليه بخيل كبيرهم ورَجْله .
فهـو غـريب في دينـه لفسـاد أديـانهم ، غـريب في تمسـكه بالسُـنَّة ، لتمسـكهم بالبـدع ، غـريب في اعتقـاده ، لفسـاد عقائـدهم ، غـريب في صـلاته ، لسـوء صـلاتهم ، غـريب في طريقه ، لضلال وفساد طرقهم ، غريب في نسـبته ، لمخالفـة نِسَبهم ، غريب في معاشرته لهم ، لأنـه يُعاشـرهم على مـا لا تهوى أنفسهم .
وبالجملة : فهم غريب في أمـور دُنيـاه وآخرتـه ، لا يجـد من العامَّة مساعداً ولا مُعيناً ، فهو عالم بين جُهال ، صـاحب سُـنَّة بين أهـل بـدع ، داع إلى اللـه ورسـوله بين دُعـاة إلى الأهـواء والبدع ، آمر بالمعروف ، نـاه عن المنكـر بين قـوم المعـروفُ لديهم منكر والمنكر معروف . انتهى كلامه رحمه الله .

كلام شيخ الإسلام رحمه الله على الغربة :

يُعلق رحمه الله تعالى على الحديث فيقول :
(لا يقتضي هذا أنه إذا صار غريباً يجوز تركه ـ والعيـاذ باللـه ـ ! بل الأمر كمـا قـال تعـالى : { **ومن يبتغِ غـير الإسـلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسـرين** } [آل عمران / 85] . وقال تعالى : { **إن الدين عند الله الإسلام** } [آل عمران / 19] . وقال تعالى : { **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله**

حقَّ تُقاته ولا تموتُنَّ إلاَّ وأنتم مسلمون } [آل عمــران / 102] ...

ولا يقتضي هذا أنه إذا صار غريباً أن المتمسك بـه يكـون في شـر ، بـل هـو أسـعد النـاس ، كمـا قـال في تمـام الحـديث : ((فطوبى للغرباء)) . (وطـوبى) من الطيب ؛ قـال تعـالى : { **طـوبى لهم وحسـن مئـاب** } [الرعـد / 29] . فإنـه يكـون من جنس السـابقين الأولين الـذين اتبعـوه لمـا كـان غريبـاً . وهم أسعد الناس . أما في الآخـرة ؛ فهم أعلى النـاس درجـة بعـد الأنبياء عليهم السلام . وأما في الدنيا ؛ فقد قال تعالى : { **يـا أيُها النبي حسـبك اللـه ومن اتبعـك من المؤمـنين** } [الأنفـال / 64] ، أي : أن الله حسبك وحسـب متبعـك ... فالمسـلم المتبع للرسـول : اللـه حسـبه وكافيـه ، وهـو وليـه حيث كـان ومتى كان .

ولهذا يوجد المسلمون المتمسكون بالإسـلام في بلاد الكفـر لهم السعادة كلما كانوا أتم تمسكاً بالإسلام ...

وكثـير من النـاس إذا رأى المنكـر أو تغـير كثـير من أحـوال الإسلام ؛ جزع ، وكلَّ ، وناح كمـا ينـوح أهـل المصـائب ، وهـو منهي عن هذا ، بل هو مأمور بالصبر ، والتوكل ، والثبات على دين الإسـلام ، وأن يـؤمن باللـه مـع الـذين اتقـوا والـذين هم محسنون ، وأن العاقبـة للتقـوى ، وأن مـا يُصـيبه فهـو بذنوبـه فليصبر ، إن وعد الله حق ، وليستغفر لذنبـه ، وليُسـبح بحمـد ربه بالعشي والإبكار .

وقوله صلى الله عليه وسلم : ((ثم يعـود غريبـاً كمـا بـدأ)) ؛ يحتمل شيئين :

أحدهما : أنه في أمكنة وأزمنة يعود غريباً بينهم ثم يظهر ؛ كما كان في أول الأمر غريباً ثم ظهر ، ولهذا قال : ((سيعود غريباً كمـا بـدأ)) . وهـو لمـا بـدأ غريبـاً لا يُعـرف ثم ظهـر وعُـرف ، فكذلك يعود حتى لا يُعرف ثم يظهر ويُعرف ؛ فيقل من يعرفه في أثناء الأمر كما كان من يعرفه أولاً .

ويُحتمل أنه في آخـر الـدُنيا لا يبقى مسـلماً إلاَّ قليـل ، وهـذا إنما يكون بعد الدجال ويـأجوج ومـأجوج عنـد قـرب السـاعة .

وحينئذٍ يبعث الله ريحاً تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة ثم تقــوم القيامة .

وأما قبل ذلك فقد قال صـلى اللـه عليـه وسـلم : ((لا تـزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضـرهم من خـالفهم ولا من خــذلهم ، حــتى تقــوم الســاعة)) وهــذا الحــديث في الصحيحين[236] ، ومثله من عدة أوجه ...

وهذا الحديث يُفيد المسلم أنه لا يغتم بقلة من يعرف حقيقة الإسلام ، ولا يضيق صدره بذلك ، ولا يكـون قي شـك من دين الإسلام ، كما كان الأمر حين بدأ ...

وقد تكون الغربـة في بعض شـرائعه ، وقـد يكـون ذلـك في بعض الأمكنة . ففي كثير من الأمكنه يخفى عليهم من شرائعه مــا يصــير بــه غريبــاً بينهم ، لا يعرفــه منهم إلاَّ الواحــد بعــد الواحد)[237] أ.هـ .

من أقوال السلف في الغُربة وأهلها :

قال الأوزاعي رحمه الله في قوله صلى الله عليـه وسـلم : ((بدأ الإسلام غريباً ... الحديث)) : (أما إنه ما يـذهب الإسـلام ولكن يذهب أهل السنَّة حتى ما يبقى في البلـد منهم إلاَّ رجـل واحد)[238] .

وقـال يـونس بن عبيـد رحمـه اللـه تعـالى : (ليس شـيء أغرب من السنَّة وأغرب منها من يعرفها)[239] .

وقال سفيان الثوري رحمه اللـه تعـالى : (استوصـوا بأهـل السنَّة فإنهم غرباء)[240] .

وقال ابن رجب رحمه الله تعالى : (وهؤلاء الغرباء قسمان : أحدهما : من يُصلح نفسه عند فسـاد النـاس ، والثـاني : من يُصلح ما أفسد الناس وهو أعلى القسمين وهو أفضلهما)[241] .

[236] البخاري (6 / 632 ، 13 / 442 الفتح) مسلم (13 / 66 _ 67 النووي .
[237] مجموع الفتاوى 18 / 291 _ 305 .
[238] كشف الكربة في وصف حال أهل الغُربة لابن رجب ص 28 , 29 .
[239] المصدر السابق .
[240] المصدر السابق .
[241] كشف الكربة ص 32 .

وقـال الحسـن رحمـه اللـه تعـالى : (المـؤمن في الـدنيا كالغريب لا يجزع من ذلهـا ، ولا يُنـافس في عزهـا ، لـه شـأن وللناس شأن)[242] .

وقال ابن رجب رحمـه اللـه تعـالى : (ومن كلام أحمـد بن عاصـم الأنطـاكي ــ وكـان من كبـار العـارفين في زمـان أبي سليمان الداراني ـ يقول : (إني أدركت من الأزمنة زمانـاً عـاد فيه الإسلام غريباً كما بدأ ، وعاد وصف الحـق فيـه غريبـاً كمـا بدأ ، إن ترغب فيه إلى عالم وجدته مفتوناً بحب الـدنيا ، يحب التعظيم والرئاسة ، وإن ترغب فيه إلى عابد وجدته جاهل في عبادته مخدوعاً صريعاً غدره إبليس ، وقـد صـعد بـه إلى أعلى درجة من العبادة وهو جاهل بأدناها فكيف له بأعلاها ؟ وسـائرُ ذلك من الرعاع ، همج عوج وذئاب مختلسـة ، وسـباع ضـارية وثعالب ضوار ، هذا وصف عيون أهـل زمانـك من حملـة العلم والقرآن ودعاة الحكمة) .

خرجه أبو نعيم في ((الحلية))[243] .

فهذا وصف أهل زمانه فكيف بمـا حـدث بعـده من العظـائم والدواهي التي لم تخطر بباله ولم تدر في خياله ؟)[244] .

روى الذهبي رحمه الله تعالى في السـير عن أبي الحسـين العتكي قال : (سمعت إبراهيم الحربي يقول لجماعة عنــده : من تعدون الغريب في زمانكم ؟ فقـال رجـل : الغـريب : من نأى عن وطنه . وقال آخر : الغريب : من فارق أحبابه . فقـال إبـراهيم : الغـريب في زماننـا : رجـل صـالح عـاش بين قـوم صـــالحين ، إن أمـــر بمعـــروف آزروه ، وإن نهى عن منكـــر أعـانوه ، وإن احتـاج إلى سـبب من الـدنيا مـانوه ، ثم مـاتوا وتركوه)[245]

قـال الشـيخ سـليمان بن سـحمان رحمـه اللـه تعالى في غُربة الإسلام :

على الدِّينِ فليبكي ذوُو العِلم والهُدى ... فقدْ طُمسَتْ أعلامُهُ في العوالمِ

[242] كشف الكربة ص 47 .
[243] الحلية لأبي نعيم 9 / 286 .
[244] كشف الكربة لأبن رجب ص 37 .
[245] سير أعلام النبلاء 13 / 362 .

وقدْ صارَ إقبالُ الورى واحتيالِهم
علَى هذه الدُّنيا وجمعِ الدراهمِ
وإصلاحِ دُنياهُم بإفسادِ دِينِهم
وتحصيلِ ملذُوذَاتِها والمطاعمِ
يُعادُون فيها بل يوالون أهلهَا
سواءً لديهم ذو التُقَى والجرائمِ
إذ انتقصَ الإنسانُ مِنها بما عسَى
يكونُ له ذخراً أَتى بالعظائمِ
وأبدى أعاجيباً من الحزن والأسى
على قلَّةِ الأنصارِ من كلِّ حازمِ
وناح عليها آسفاً مُتظلِّماً
وباح بما في صدرهِ غير كاتمِ
فأمَّا على الدِّين الحنيفي والهُدى
وملَّةِ إبراهيمَ ذات الدعائمِ
فليس عليها والذي فلق النَّوى
مِن الناسِ باكٍ وآسٍ ونادمِ
وقد دُرست منها المعالم بل عفت
ولم يبق إلاَّ الإسم بين العوالمِ
فلا آمرٌ بالعُرفِ يُعرفُ بيننا
ولا زاجرٌ عن معضلات الجرائمِ
وملَّةُ إبراهيمَ غُودِرَ نهجُها
عفاءً فأصبحت طامسات المعالمِ
وقد عُدمت فينا وكيف وقد سفت
عليها السوافى في جميع الأقالمِ
وما الدين إلاَّ الحبُّ والبُغضُ والولا
كذاك البرء من كُلِّ غاوٍ وآثمِ
وليس لها من سالكٍ متمسكٍ
بدينِ النبيِّ الأبطحيَّ ابن هاشمِ
فلسنا نرى ما حلَّ بالدين وانمحت
به الملَّةُ السمحاءُ إحدى القواصمِ
فنأسى على التقصير منَّا ونلتجئ
إلى اللهِ في محوِ الذنوبِ العظائمِ
فنشكوا إلى اللهِ القلوب التي قست
وران عليها كسبُ تلكَ المآثمِ
ألسنا إذا ما جاءنا مُتضمِّخٌ
بأوضارِ أهل الشرك من كُلِّ ظالمِ
نهشُّ إليهم بالتحَّةِ والثنا
ونهرعُ في إكرامهم بالولائمِ
وقد برء المعصومُ من كُلِّ مسلمٍ
يُقيمُ بدارِ الكُفرِ غيرُ مُصارمِ
ولكنَّما العقل المعيشيُّ عندنا
مسالمة العاصين من كُلِّ آثمِ
فيا محنة الإسلام مِن كُلِّ جاهلٍ
ويا قلة الأنصارِ من كُلِّ عالمِ
وهذا أوان الصبرِ إن كنت حازماً
على الدين فاصبر صبر أهل العزائمِ
فمن يتمسك بالحنيفيةِ التي
أتتنا عن المعصومِ صفوة آدمِ
من الصحبِ أصحابِ النَّبي الأكارمِ
إليه فإن الله أرحم راحمِ
معالمهُ في الأرض بين العوالمِ

لهُ أجر خمسين امرءٍ من ذوي الهدى
وأصحابه أهل التُقى والمكارمِ
فنح وابكِ واستنصر بربك راغباً
وما انهلَّ ودقٌ من خلال الغمـائمِ
لينصُرَ هذا الدِّين من بعد ما عفت
وصلِّ على المعصومِ والآلِ كُلِّهم
بعدِّ وميضِ البرقِ والرملِ والحـصى

* * * * *

فِهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــــــــــــــــــوع الصفحة

الباب الثالث : التكفير وأحكامه